بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : فضيلة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد ، و آله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ! فيسعد كاتب هذه السطور أن يقدم لكتاب « بذل المجهود فى حل أبي داؤد » للعلامة المحدث الكبير و المربى الجليل مولانا خليل أحمد السهارنفورى ـ رحمة الله عليه ، و قد سعد الكاتب و وفق لتقديم عدة كتب قيمة و مؤلفات عظيمة لتلميذه الأبر الأكبر شيخنا العلامة محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوى السهارنفورى ، كـ « مقدمة أوجز المسالك » و « مقدمة لامع الدرارى » و « جزء حجة الوداع و عمرات النبى ﷺ » و « الأبواب و التراجم للبخارى » .

و كاتب هذه السطور يشهد الله على أن هذه الكتابات لم تخدعه عن نفسه ، و قد كان يتقدم إليها فى كل مرة متهيباً خاشعاً أمام جلال الموضوع ، و مكانة الكتاب العلمية ، و منزلة المؤلف الدينية ، وعلو كعبه و اختصاصه فى علم الحديث ، مؤمناً بضآلة قدر نفسه ، وقلة بضاعته ، و بأنه متطفل على مائدة هذا الفن الشريف ، يعتبر -- علم الله — أن إقدامه إلى هذا التقديم جسارة تكاد تكون وقاحة ، وإساءة أدب وقلة حياء ، و بأن فى القطر الهندى وحده فضلا عن شبه القارة الهندية ، فضلا عن العالم الاسلامى ، من هو أجدر و أقدر و أولى بهذه التقديمات ، و التعريف بالتأليف و المؤلف .

و لا يستطيع الكاتب أن يعلل هذا التكريم المتكرر إلا بحكمة إلهية خفيـة ،

و أسلوب من أساليب التربيـة ، التى خص الله بها كبـار المربين وحذاق المعلمين ، و أن لهم فى ذلك مرامى بعيدة و مقاصد دقيقة « و ما يعلم جنود ربك إلا هو » و لعل ذلك لاثارة كوامن الشوق و تشحيذ العزم الفاتر ، والهمة الكليلة فى دراسة هذا الفن الشريف ، و إعادة الخيط النورانى الذى يربط القلوب بهذا العلم ، و الذى ضعف و كاد يتقطع .

و على كل فالكاتب يعتقد كل ذلك من أعظم نعم الله سبحانه و تعـالى عليه ، التى لا يستوفى حق شكرها .

فلو أن لى فى كل منبت شعرة لساناً لمـا استوفيت واجب حمده

وكتاب « بذل المجهود » هو واسطة العقد بين هذه الكتب التى أمرت بالتقديم لها ، و اهتمام شيخنا العلامة محمد زكريا بنشره فى الحروف العربيـــة و وصوله إلى أيدى علمـاء الحديث و المشتغلين بتدريسه و تحقيقه ، و انتشاره فى الأوساط العلمية و المدارس الدينيـة ، و حلوله المحل اللائق به من بين شروح الحديث التى ألفت فى العصور الأخيرة أعظم و أكثر ، إذ هو ليس مجرد تأليف لشيخه — الذى أحبـه واقترنت حياته العلمية بحياته ، وليست إلا ظلا ممدوداً لهذه الشجرة الطيبة المباركة — بل هو فلذة كبده و قطعة نفسه ، و أحب أعماله إليه كما سيقرأ القارىء فى السطور الآتيه ، فأصبح خروج هذا الكتاب فى الثوب القشيب و المظهر الجديد أعز أمانيه و أكبر آماله ، يتلذذ بالحديث عنـه و يتسلى بالتفكير فيه ، و قد طابت له الحيـاة و هانت عليه المحن والخطوب فى سبيل نشر هذا الأثر العلمى العظيم ، وتذكار شيخه الأثير الحبيب ، و انتظار خروجه و اكتماله ، و من دواعى الغبطة والسرور لكاتب هذه السطور أن يكون له نصيب فى هذا العمل ، وأن يكون عاملا صغيراً فى تحقيق هذه الأمنية العزيزة و إظهار هذه المـآثرة الخالدة .

وكلمة وجيزة عن مكانة سنن أبي داؤد ومنزلته من بين دواوين السنة ومجاميع الحديث و إن كان هذا الموضوع قد استوفى فى كتب أصول الحديث و مقدمات علم

الحديث ، و تاريخ تدوين السنة ، و لم يترك الأول للآخر شيئاً ، ولايجاوز عمل كاتب مثلي إعادة ما قيل و إجمال ما فصل ، و وقفة قصيرة عند شروح هذا الكتاب و تعليقاته ، و نظرة إجمالية في هذا الشرح ، و مكانته من بين الشروح و الثغرة التي يسدها و لماذا احتاج المؤلف إلى وضعه ؟ و مدى ارتباط المؤلف بهذا الكتاب و تفانيه فيه ، و تعلقه به ، و مدى نجاحه في هذا العمل ، و كيف تم تأليف هذا الكتاب ، و ما هو سهم تلميذ المؤلف النابغة في تأليفه ؟ و ما فضله و تأثيره في حياته ونجاحه ونبوغه ؟ فلكل ذلك قصة ممتعة مفيدة ، فيها عبرة لمن اعتبر ، ودروس مفيدة لتلاميذ المدارس النجباء ، و رواد العلم الأذكياء ، وأولى الهمم من المؤلفين و العلماء « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

أما سنن أبي داؤد فهو من كتب الحديث التي تلقتها الأمة بالقبول و تلقاها علماء الصناعة و أئمة الفن بالاعتناء التام ، و عليه المعول و الاعتماد قديماً وحديثاً ، و هو ثالث الأركان أو الرابع في قول (بعض المحققين) التي قام عليها بناء السنة.

و نبدأ بكلام الامام أبي داؤد نفسه في وصف كتابه وذكر خصائصه فهو الثقة الصدوق فيما يقول و لا يصف كتاباً ولا يعرف غوامضه مثل مؤلفه ، قال ـ رحمه الله ـ في رسالة أرسلها إلى أهل مكة في صفة كتابه .

« و هو كتاب لا يرد عليك سنة عن النبي ﷺ باسناد صالح إلا و هو فيه ، إلا أن يكون كلام استخرج من الحديث و لا يكاد يكون هذا و لا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب و لا يضر رجلا أن لا يكتب من بعد ما يكتب هـذا الكتاب شيئاً ، و إذا نظر فيه و تدبره و تفهمه علم إذن مقـداره » (١) .

(١) مقتبس من (رسالة أبي داؤد السجستاني في وصف تأويله لكتاب السنن ص ٦ ـ ٧) رواية أبي الحسين بن جميع عن محمد بن عبد العزيز الهاشمي عنه ، طبعت في مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري .

و قال أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي (وهو أحد كبار تلاميذ الامام أبي داؤد وصاحب النسخة المشهورة للسنن) « لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذى فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب (و أشار إلى نسخة السنن و هى بين يديه) لم يحتج معهما إلى شئ من العلم بتة » (١) .

و قال أبو سليمان الخطابي صاحب معالم السنن : و اعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داؤد كتاب شريف لم يصنف فى علم الدين كتاب مثله و قد رزق القبول من الناس كافة فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فلكل فيه ورد و منه شرب و عليه معول أهل العراق وأهل مصر و بلاد المغرب ، وكثير من مدن أقطار الأرض ، فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل و مسلم بن الحجاج ومن نحا نحوهما فى جمع الصحيح على شرطهما فى السبك والانتقاد، إلا أن كتاب أبي داؤد أحسن رصفاً و أكثر فقهاً و كتاب أبي عيسى أيضاً كتاب حسن و الله يغفر لجماعتهم و يحسن على جميل النية فيما سعوا له مثوبتهم برحمته » إلى أن قال « و كان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داؤد الجوامع والمسانيد ونحوهما فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً و مواعظ و آداباً ، فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها و اختصار مواضيعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة و من أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داؤد و لذلك حل هذا الكتاب عند أئمة الحديث و علماء الأثر محل العجب فضربت فيه أكباد الابل و دامت إليه الرحل » (٢) .

وقال شيخ الاسلام محى الدين أبو زكريا يحيي بن شرف النووى شارح صحيح مسلم ، والمؤلفات الكثيرة الشهيرة ، فى قطعة كتبها فى شرح سنن أبي داؤد « وينبغى للشتغل بالفقه و غيره الاعتبار بسنن أبي داؤد وبمعرفته التامة فان معظم أحاديث

(١) ذكره الخطابي فى مقدمته سماعاً من ابن الأعرابي (معالم السنن ص ٨) .
(٢) معالم السنن ص ٦ - ٧ (المطبعة العلمية حلب) .

الأحكام التى يحتج بها فيـــه مع سهولة تناوله و تلخيص أحاديثه و براعـــة مصنفه و اعتنائه بتهذيبه (١) ».

و قال العلامـــة الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب « زاد المعاد » و المؤلفات المقبولة ، فى شرحه لاختصار المنذرى [لسنن أبي داؤد] « و لما كان كتاب السنن لأبى داؤد سليمان بن الأشعث ـ رحمه الله ـ من الاسلام بالموضع الذى خصه به بحيث صـار حكما بين أهل الاسلام ، وفصلا فى موارد النزاع والخصام ، فاليه يتحـاكم المنصفون ، و بحكمه يرضى المحققون فانه جمع شمل أحاديث الأحكام ، و رتبها أحسن ترتيب ، و نظمها أحسن نظام مع انتقائها أحسن الانتقاء و اطراحه منها أحاديث المجروحين و الضعفاء » .

و فيما نقلناه بلاغ و مقنع للدلالة على مكانة الكتاب وأهميته ، وكانت نتيجته الطبعية و مقتضى إجلال العلماء له و إحتياج الفقهاء و المحدثين إليه أن يكثر الاهتمام بشرحه و خدمته ، و التعليق عليـه ، فتناوله بالشرح كبار علمـاء الأمة و أئمة عـلم الحديث فى كل عصر و مصر .

و من أقدم شروحه و أشهرها و أغزرها مادة و أكثرهـا فوائد و أصولا و نكتا ، شرح معـالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفى سنة ٣٨٨هـ) و لا يعزبن عن البـــال أن الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ لم يشرح جميع الأحاديث بل يأتى إلى الباب الذى تعددت فيه الروايات ، فاذا كان المـآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً ، و كأنه بذلك شرح جميع البـاب ، و إلا شرح أكثر من ذلك على حسب ما يتراءى له وإلى ذلك الاشارة بقوله من باب كذا (٢).

إلا أن الكتـاب مجمع على فضله و احتوائه على فوائد كثيرة تنير السبيل

(١) العبارة منقولة من (الحطة فى ذكر الصحاح الستة) للأمير العلامة صديق حسن خان القنوجى ص ١٠٦ المطبعة النظامية كانفور طبع ١٢٨٣هـ .

(٢) مقتبس من مقدمة الشيخ الراغب الطباخ على معالم السنن للخطابي طبع حلب.

للمستفيدين ، وتنشئ فيهم ملكة الاستنباط و فقه الحديث وقد جاءت فى ثنايا الكتاب ثروة ذات قيمة من مقاصد الشريعة و أسرارها كما نوه بذلك شيخ الاسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولى الله الدهلوى فى مقدمة « حجة الله البالغة » (١) .

و شرحه الشيخ قطب الدين أبو بكر أحمد بن دعين اليمنى الشافعى (م سنة ٦٥٢هـ) فى أربعة مجلدات كبار .

و قد تناوله بالشرح شيخ الاسلام محى الدين النواوى (م سنة ٦٧٦هـ) إلا أن هذا الشرح لم يتم ولوتم لكانت له مكانة مرموقة لاقتدار صاحبه على الشرح والايضاح و رسوخه فى علوم الحدث و سلامة ذهنه .

و شرحه الحافظ علاء الدين المغلطائى ابن القليج (م سنة ٧٦٢هـ) ولم يكمله و هو كتاب عظيم كثير الفوائد .

و شرحه شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلالى المقدسى (م سنة ٧٦٥هـ) سماه « انتحاء السنن و اقتفاء السنن » .

وشرحه الشيخ سراج الدين عمر بن على بن الملقن الشافعى (م سنة ٨٠٤هـ) .

و شرحه الشيخ العلامة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ أبى الفضل زين الدين العراقى (م سنة ٨٢٦هـ) قال السيوطى : « هو شرح مبسوط جداً كتب منه من أوله إلى سجود السهو من سبع مجلدات ، ولو كمل لجاء أكثر من أربعين مجلداً .

(١) فى مكتبة دار العلوم ديوبند مقدمة للشيخ أبى طاهر أحمد بن محمد بن السلفى الأصبهانى ، كتبها بطلب من جماعة للفقهاء حين إملائه لمعالى السنن فى سنة ٥٤٦ هـ للتعريف بصاحب السنن الامام أبى داؤد و بشارحه أبى سليمان الخطابى يقول فى هذه المقدمة ، و قد أردت أن أقدم ههنا أيضاً فصلا فى التنبيه على جلالة أبى داؤد و ما صنفه ، و فضل أبى سليمان و شرحه ، و قد جاءت هذه المقدمة فى ٢٢ صفحة من القطع الكبير، وهى خطية لم تطبع بعد ، (مخطوطات دارالعلوم ص٩٥) .

و شرحه الحافظ شهاب بن رسلان الرملي الشافعي (١) (م ٨٤٢هـ) فى أحد عشر مجلداً ، و قد رأى الشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصارى شرحه فى بعض بلاد العرب و ذكر أنه فى ثمان مجلدات كبار كما جاء فى « غاية المقصود » ص٩ (٢) .

وشرحه الشيخ شهاب الدين بن أحمد بن الحسين الرملي المقدسى الشافعي (م٨٤٤هـ)

وشرحه العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى (م٨٥٥هـ) ولم يكمل .

وشرحه العلامة جلال الدين السيوطي (م ٩١١هـ) و سماه « مرقاة الصعود إلى سنن أبي داؤد » و عليه حاشية للعلامة السيد على بن سليمان الدمنتى البجمعوى (المتوفى فى أوائل القرن الرابع عشر) و سماه « درجات مرقاة الصعود » و قد قال فى مقدمته ـ « هذا اختصارنا لمرقاة الصعود إلى سنن أبي داؤد للعلامة السيوطي و هو تعليق على نسق أصله الذى لخص به معالم السنن للامام أبي سليمان الخطابي و ضم إليه الفوائد الزوائد والخرائد الشرائد (وهو فى جزء واحد ، طبع فى المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٨هـ) .

و قد شرحه العلامة الشيخ محمود (٣) محمد خطاب السبكى المصرى (م١٣٥٢هـ)

---

(١) اقرأ ترجمته الحافلة فى البدر الطالع للشوكانى الجزء الأول .

(٢) استفدنا فى هذا الباب من « كتاب الحطة فى ذكر الصحاح الستة » للعلامة صديق حسن القنوجى « مقدمة غاية المقصود » .

(٣) هو المصلح الكبير الداعى إلى الله الشيخ محمود خطاب السبكى ، تعلم العلم كبيراً ، و تخرج فى الأزهر و كانت دراسته بكاملها فى نحو سنة كما حكى هو عن نفسه فى كتابه « فتاوى أئمة المسلمين » و درس فى الأزهر و قام بدعوة دينية إصلاحية ، كان لها تأثير كبير فى إزالة البدع والمنكرات واتباع السنة وطريقة السلف الصالح ، وأسس جمعية و سماها « الجمعية الشرعية لتعامل العاملين بالكتاب والسنة المحمدية » لقيت ابنه وخليفته الشيخ أمين محمود خطاب فى مصر سنة ١٣٨٠هـ وتعرفت بكثير من أعضائها راجع « مذكرات سائح فى الشرق العربى » لكاتب هذه السطور .

و سماه « المنهل العذب المورود شرح سنن الامام أبي داؤد » و هو شرح حافل فى عشرة أجزاء و لم يتم ، و قد وصل المؤلف فى شرحه إلى « باب التلبيد » .

و كان نصيب علماء الهند من خدمة هذا الكتاب الجليل نصيباً غير منقوص ، شأنهم فى خدمة علم الحديث عامة ، و خدمة الصحاح الستة بصفة خاصة .

فأول من شرحه من علماء الهند العلامة أبو الحسن السندى ابن الهادى المدنى (م ١١٣٩هـ) سماه « فتح الودود على سنن أبي داؤد ».

و تلاه علماء آخرون فعنى به العلامة المحدث الكبير شمس الحق الديانوى (م ١٣٢٩هـ) فبدأ فى شرح عظيم محيط بمباحث الكتاب و المتون و الأسانيد ، لو تم لكان عملا جليلا ، ومن شروح الحديث الكبيرة الشاملة ، إلا أنه لسعة دائرته و ضخامة عمله لم يتم ، و سماه « غاية المقصود » و قد احتوى على بحوث مفيدة و فوائد كثيرة ، و لعل المؤلف قد شعر بأن هذا العمل لا يتم فى حياته فضيق دائرة التأليف ، و صغر إطار الكتاب وأخرج الكتاب فى أربعة أجزاء ، و سماه « عون المعبود » ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف و هو من تأليفه حقيقة (١) .

و ترجمة الشيخ وحيد الزمان اللكهنوى الحيدرآبادى الملقب بوقار نواز جنك (سنة ١٣٣٨هـ) و تناوله بالشرح و الايضاح و سماه « الهدى المحمود فى ترجمة سنن أبي داؤد » .

وقد جمع أحد تلاميذ العلامة محمد أنور شاه الكشميرى (م ١٣٥٢هـ) وهو الشيخ أبو العتيق عبد الهادى محمد صديق النجيب آبادى ، إفاداته فى درس « سنن أبي داؤد » و ضم إليها فوائد اقتبسها من « بذل المجهود » للعلامة خليل أحمد السهارنفورى ، وزاد فوائد أخرى التقطها من درس العلامة محمود حسن الديوبندى المعروف بشيخ الهند ، لصحيح البخارى و درس العلامة شبير أحمد العثمانى لكتاب

(١) راجع ترجمة مولانا شمس الحق الديانوى فى « نزهة الخواطر » للعلامة عبد الحى الحسنى ج ٨ ص ١٧٩ .

صحيح مسلم الف مقتبساً من كل ذلك كتاباً أسماه « أنوار المحمود » فى جزئين (١) و تم الشرح فيهما .

و للشيخ فخـــر الحسن الكنكوهى (م ١٣١٥هـ) تعليق على سنن أبى داؤد و سماه « التعليق المحمود » .

و للشيخ العلامة المحدث القاضى حسين بن محسن (٢) الأنصارى اليمانى تعليقات على سنن أبى داؤد ولتلميذه العلامة السيد عبد الحى الحسنى مؤلف « نزهة الخواطر » تعليق على السنن كذلك لم يتم .

و كان الشيخ العلامة المحدث الكبير مولانا خليل أحمد السهارنفورى من كبار المعنيين بسنن أبى داؤد تدريساً و تحقيقاً ، و كان مما جرت به العـادة و وقع عليه الاتفاق فى مدرسة مظاهر العلوم ، التى كان مديرها و رئيس أساتذتها أن يباشر هو تدريس هذا الكتـاب أو يتولاه الشيخ العلامة محمد يحيى بن إسماعيل الكاندهلوى (م ١٣٣٤هـ) لا يتخطاهما إلا نادراً ، و كانت فكرة شرح هذا الكتاب تراود الشيخ منذ أيام الطلب و عنفوان الشباب ، و كان يتمنى على الله أن يوفق لهـــذا العمل الجليل و قد شرع فى ذلك فعلا وبدا له أن يسميه « حل المعقود الملقب بالتعليق المحمود على سنن أبى داؤد » و أقبل على هذا العمل بعد أن عين مدرساً ، و قد شرع فيه ثلاث مرار وكان الشروع فيه للمرة الثالثة سنة ١٣١١هـ إلا أنه لم يقدر له الاستمرار فيه و إكماله فى ذلك الحين فصرفته عنه الأشغال العلمية ، و الدروس المرهقة ، و الأسفار المتتابعة ، و قد كانت لله فى ذلك حكمة خفية ، فقد أراد الله أن يتم هذا العمل على يده ، و قـد بلغ درجة النبوغ و النضج العقلى و توسعت دراسته و اتسع نطاق علمه و ظهرت كتب جديدة فى شرح هذا الكتاب ، فجـاء

---

(١) طبع هذا الكتاب فى تجلى بريس دهلى سنة ١٣٣٠هـ و عدد صفحات الجزء الأول ٦١٠ - و عدد صفحات الجزء الثانى ٥٦٨ .

(٢) راجع ترجمته فى نزهة الخواطر ج ٨ .

الكتاب حصيلة دراسته و عصارة مطالعته .

وكان الباعث الأول على تأليف هذا الشرح هو شغفه بحديث رسول الله ﷺ الذى لا يعرف مداه و سره إلا من ذاق حلاوة الحب و شغف بمحبوبه و بكل ما يصدر عنه ويتصل به وينسب إليه ، وحرصه على الاشتغال بالحديث لفظاً ومعنى و منطوقاً و مفهوماً ، و شرحاً و تحقيقاً و فحصاً وبحثاً ، و لما كان الشرح ضامناً كافلا بهذا الاشتغال ، و الخوض فى أعماق الحديث ، آثره الشيخ و التزمه ، فان تم الشرح و تحققت الأمنية ، فنعم و حبذا ، و إلا فقد قضى هذه المدة فى شغل عزيز لذيذ ، و فى سعادة و غبطة و سرور .

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى ! و إلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

و كان الباعث الثانى عليه هو عدم وجود شرح واف لهذا الكتاب الجليل بقلم عالم حنفى يجمع بين التبحر فى الحديث و التضلع فى الفقه ، مع أن الكتاب من أكثر الكتب التى يعتمد عليها فى إثبات مذهب أو رد مذهب ، لأن موضوعه الخاص و ميزته الكبرى هو أحاديث الأحكام ، و هى التى يكثر فيها الخلاف ، و تتجلى فيها القدرة على التحقيق و قوة الاستدلال ، و ذلك ما أهم المؤلف و شغل خاطره .

ولم يزل علماء الاسلام منذ قديم الزمان يشرحون كتب الحديث وفى مقدمتها ـ الصحاح الستة ـ بوجهة نظرهم الخاص ، ويطبقون بين الأحاديث وآراء مذهبهم ويقدمون دلائلها من كتب الحديث الموثوق بها ، المعتمد عليها ، كما فعل الامام أبوجعفر الطحاوى فى شرح معانى الآثار ، وكما فعل العلامة الزيلعى فى نصب الراية ، والعلامة علاء الدين بن التركمانى فى الجوهر النقى ، وسادتنا الشافعية — و الحق أحق أن يقال — قد أحرزوا قصب السبق فى ميدان التأليف و التدوين ، فاذا ألف أحدهم شرحاً لكتاب من كتب الصحاح ، تلاه عالم كبير من علماء المذهب الحنفى ، فألف شرحاً آخر لهذا الكتاب ، و إذا ألف أحد كبار علماء الشافعية أو المالكية كتاباً فى التفسير أو فى أصول الفقه

و تلقاه الناس بالقبول ، و سارت به الركبان و شغف به الأوساط العلمية والحلقات التعليمية ، جاء عالم حنفي فألف كتاباً في نفس الموضوع قد يفوقه ، وقد يدرك شأوه ، و قد يتخلف عنه ، شأن الكتب العلمية و الجهود البشرية في كل زمان و مكان ، وهذه قصة « عمدة القارئ » للعلامة بدر الدين العيني ، مع « فتح الباري » للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني ، و هذا هو الدافع النبيل الذي دفع بعض كبار علماء الحنفية إلى تأليف كتاب في تفسير القرآن بعد ما كثرت مؤلفات علماء الشافعية في التفسير ، و انتشرت في الآفاق ، و أقبل عليها الطلبة و العلماء درساً و تدريساً ، كما فعل العلامة أبو البركات حافظ الدين النسفي (م ٨١٠هـ) في كتابه « مدارك التنزيل و حقائق التأويل » و العلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (م ٩٨٢هـ) في تفسيره المسمى بـ « ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » و المحدث الكبير و الفقيه الشهير القاضي ثناء الله الباني پتي (م ١٢٢٥هـ) في التفسير المظهري .

و العلم الثالث الذي له صلة وثيقة بالمذاهب و الآراء الفقهية ، و عليه أساس استنباط المستنبطين واجتهاد المجتهدين هو علم أصول الفقه ، فكان المجال الثالث لتأليف فحول علماء المذاهب و نوابغهم ، فألف العلامة أبو الحسين البصري ، وإمام الحرمين العلامة أبو المعالي عبد الملك الجويني ، وحجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي ، والعلامة علي بن أبي المظفر الآمدي ، و الامام فخر الدين الرازي و غيرهم من كبار علماء الشافعية ، و العلامة جمال الدين بن الحاجب ، و العلامة أبو اسحاق الشاطبي من علماء المالكية ، و الامام محمد بن الحسين أبو يعلى ، و العلامة ابن قدامة المقدسي من علماء الحنبلية ، مؤلفاتهم الشهيرة في علم الأصول ، وسارت بها الركبان و درجت الأجيال على دراستها ، و حفظ بعضها و شرحها ، عدة قرون ، صنف الامام علي بن محمد بن عبد الكريم فخر الاسلام البزدوي (م ٤٨٢هـ) من علماء الحنفية كتابه المشهور « بأصول البزدوي » وصنف الشيخ العلامة حسام الدين محمد بن محمد بن عمر

اخسيكثى الحنفى (م ٦٤٤هـ) كتابه « المنتخب الحسامى » وألف الشيخ العلامة كمال الدين بن الهمام الحنفى (م ٨٦١هـ) كتابه المشهور « التحرير » و تداولت الأيدى هذه الكتب و أقبل عليها العلماء دراسة و تدريساً وشرحاً وتلخيصاً حتى جاء الشيخ العلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفى البهارى الهندى (م ١١١٩هـ) فصنف كتابه المشهور « مسلم الثبوت » فتهافت عليه العلماء و المؤلفون ، و تناولوه بالشرح والتعليق و قد شغل هذا الكتاب أذكى علماء البلاد و أبرعهم أكثر من قرن ، و بلغ عدد شروحه وتعليقاته التى اشتهرت بين الناس ثمانية شروح على ما جاء فى كتاب « الثقافة الاسلامية فى الهند » للعلامة السيد عبد الحى الحسنى ، وكان ذلك طبيعياً و معقولا ، و مما اقتضته طبيعة اختلاف المذاهب و طبيعة العلم و البحث .

إن هذه الحركة العلمية القوية التى انتشرت فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى و استمرت إلى عهد قريب و ظهرت بشكل خاص فى مجال شروح الحديث و كتب التفسير و أصول الفقه ، أفادت النشاط العقلى والعلمى فى العالم الاسلامى إفادة كبيرة لأنها مخضت المكتبة الاسلامية الدينية وغربلتها غربلة ونخلت كتب الحديث والرجال و على الأصول ، للاحتجاج لما كان يراها المؤلفون و علماء المذاهب من الآراء الفقهية من الكتاب و السنة و الحديث الصحيح و إقامة الدليل و البرهان عليه ، فلم يبق جانب من جوانب الحديث النبوى و ما يتصل به من علوم و مقدمات إلا و كشف عنه ، ولا موضوع له نسب قريب أو بعيد بالسنة و آيات الأحكام إلا و بحث و درس و نوقش ، و استعلمت العقول فى ذلك إلى أقصى حدودها ، فكان كل ذلك مما يعود على الشريعة الاسلامية بالنفع و تكونت هذه المكتبة الدينية التى لا نظير لها فى الملل و الأمم .

و فى سنة ١٣٣٥هـ حين بلغ الشيخ أربعاً و ستين سنة من عمره ، جاء الوقت الموعود المقدر لتأليف هذا الكتاب ، فذكر أمنيته القديمة التى لم تفارقه مدة حياته الدراسية والتأليفية لتلميذه الذى ظهرت عليه آثار النجابة و النبوغ ، واختص بالشيخ

اختصاصاً لم يكتب لغيره ، و هو العالم الناهض محمد زكريا (ابن صديقه مولانا محمد يحيي الكاندهلوى) الذى تخرج من المدرسة حديثاً وعين مدرساً صغيراً فيها ، وذكر أنه لا يزال عنده حنين كامن لتأليف هذا الكتاب ، إلا أن الأسباب لم تتهيأ له ، و قد وهنت قواه و ضعف بصره ، و كان أكبر الاعتماد فى إنجاز هذا العمل على والده العظيم الشيخ محمد يحيي الذى رزق قسطاً كبيراً من الذكاء و حسن الملكة فى علم الحديث ، وكان من أنجب تلاميذ الشيخ الامام المحدث مولانا رشيد أحمد الكنكوهى وكان شديد التجاوب معه ، عجيب التوارد فى المباحث العلمية ، و المسائل الغامضة الدقيقة خصوصاً فى تطبيق الحديث و الفقه ، و بيان الحجج والدلائل للمذهب الحنفى و قد توفى ـ رحمه الله ـ فى سنة ١٣٣٤ھ ، ففقد لوفاته العضد الأيمن و المساعد الأكبر ، و حزن عليه حزناً شديداً لخسارة العلم و رزيئة صاعة التعليم فيه ، وكان دائماً يشعر بمكانه الشاغر وقال له و هو يمشى معه مرة : إذا ساعدتنى أنت وزميلك حسن (١) أحمد فى تأليف هذا الشرح فلعل ذلك يحقق أمنيتى .

و لما وصل الشيخ الكبير إلى هذه النقطة من حديثه اهتز له تلميذه النجيب و صادف ذلك رغبة ملحة دفينة فى نفسه فى الحرص على خدمة الحديث الشريف و المثابرة عليه ، و التفانى فيه ، و إفناء العمر و القوى فى سبيله و لم يكن يجد لذلك سبيلا و لا يصدق أنه ممكن ، لأنه الآن فى الشوط الأول من التدريس ، فمتى يصل إلى الاشتغال بكتب الحديث و كيف تتأتى له هذه الفرصة ؟ فكان قد دعا الله مخلصاً و مبتهلا حين قرأ فاتحة الفراغ على والده و أستاذه ، أن لا ينقطع عن الاشتغال بالحديث و يظل حياته عاكفاً عليه بالتدريس والتأليف ، فكأنما تكلم الشيخ على لسانه ، و عبر عن جنانه ، و تحقق حلمه اللذيذ الذى كان يراه بعيد المنال و ضرباً من المحال ، فلم يتمالك نفسه و انفجر قائلا « هـذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً » و لعل الله أجاب دعائى و قص عليه القصة بطولها و فرح الشيخ و دعا له

(١) كان من تلاميذ الشيخ الأذكياء المرجوين و مات شاباً ـ رحمه الله ـ .

بالتوفيق ، وأملى أسماء كتب يستعان بها فى هذا الموضوع ، و ابتدأ العمل من غد ، و كان ذلك لليلة خلت من ربيع الأول سنة خمس و ثلاثين و ثلاث مأة و ألف .

و كان منهج التأليف أن الشيخ كان يرشد إلى مظان الموضوع فى الكتب التى جمعت وتوجد فى مكتبة المدرسة و كان التلميذ يجمع المواد العلمية وما كتبه المتقدمون من الشراح و المؤلفين و يقرأها على الشيخ فيختار منها ما يستحسنه ، ويملى الشرح ، واستمر العمل ، والشيخ لاهم له ولالذة إلا فى هذا العمل الذى يعده من أعظم القربات ومن أفضل العبادات ، والتلميذ لا شغل له ـ إلا ساعات تمضى فى دروس معدودة ـ إلا مطالعة الكتب و جمع المواد و عرضها على الشيخ .

و مضت على ذلك تسعة أشهر ، و تم شرح الجزء الأول فى سلخ ذي القعدة ١٣٣٥هـ ، وكان الشيخ قد ملكته فكرة هذا التأليف وتغلغلت فى أحشائه ، وخالطت لحمه و دمه ، و سيطرت على مشاعره و تفكيره و ذوقه ، حتى كان آخر ما يفكر فيه قبل النوم وأول ما يهتم به عند اليقظة ، وحق له أن ينشد بلسان الشاعر الحماسى .

أ آخر شئ أنت فى كل هجعة ؟ و أول شئ أنت عند هبوبى

و لا يفهم ذلك إلا من أكرمه الله بالغرام بمبدأ سام و مقصد رفيع ، فكان ذلك عنده مقياس الرضا و وسيلة القرب ، فمقدار غناء الرجل فى هذا العمل واعانته عليه و مساهمته فيه ، كان حظياً عنده ، وجيهاً فى عينه ، و قد عرف الناس ذلك و انتفعوا به ، و تقربوا بسببه إليه ، ذكرنى هذا بما ذكره القاضى ابن شداد عن السلطان صلاح الدين الأيوبى يقول :

« و لقد كان حبه للجهاد و الشغف به قد استولى على قلبه و سائر جوانحه استيلاءً عظيماً . بحيث ما كان له حديث إلا فيه و لا نظر إلا فى آلته ، ولا كان له اهتمام إلا برجاله ، و لا ميل إلا إلى من يذكره و يحث عليه » .

« و كان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد » (١) .

(١) النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ص ١٦ .

و من يقرأ كتب التراجم و الطبقات يرى أمثلة هــذا الشغف و الاستغراق عند كثير من العلماء و المؤلفين و العظماء و المصلحين فى مشاربهم و أذواقهم .

و إذا استولى هذا الحب على إنسان و جرى منــه مجرى الروح و الدم أتى بالعجائب ، و كان مصدر إلهام و توجيه ، و قد وقع للشيخ بعض حوادث غريبة فمنها أنه رأى مرة فيما يرى النائم كأن منبهاً ينبهه على خطأ فى هذا الشرح ، وقد فرغ منه فلما استيقظ دعا تلميذه الشيخ محمد زكريا وأخبره بهذه الرؤيا ، و لما راجع هذا المقام وجد أن فيه خطأ فأصلحه .

وكان العمل قائماً على قدم وساق وكان الشيخ منصرفاً إليه بقلبه وقالبه وتلميذه مقبلا عليه بجميع قواه و مواهبــه ، إذ عرضت للشيخ رحلة إلى الربوع المقدسة ، مهبط الوحي ومدرسة الحديث الأولى ، وأبدى التلميذ رغبته - بما رأى من حرص الشيخ على إتمام هذا الكتاب وضعفه وعلو سنه - فى المرافقة ، فتقبلها الشيخ مسروراً و أمل فى تمام هــذا العمل و توجه على بركة الله إلى الحرمين الشريفين و ذلك فى شهر شوال سنة ١٣٤٤هـ ، و لم يزالا مكبين على إتمام هذا الشرح ، منقطعين إليــه لا يتخلله إلا العبادة و الفرائض الدينيــة و الأمور الطبيعية ، وكان الشيخ له دعوات ثلاث ، وأمانى عزيزة ، لا يعدل بها أمنية ، أولاها أن تقوم فى الحجاز حكومة إسلامية مستقرة ، و يسود فى ظلها الأمن و السلام وتستقر الأمور ، والثانية إكمال بذل المجهود ، و الثالثة أن يوافيه الوقت الموعود فى مدينة الرسول ويدفن فى البقيع ، و قد أجاب الله دعواته الثلاث التي دعا بها على الملتزم و حقق هذه الأمانى كلها .

و لثمان بقين من شعبان (٢١ شعبــان) سنة ١٣٤٥هـ تحققت أمنيته الكبرى التى غذاها بدم قلبه فتم الشرح ، و قد كانت مدة تأليفه عشر سنوات و خمسة أشهر وزادت عليها عشرة أيام وتم الكتاب فى خمسة مجلدات كبار و فى ألفين من الصفحات بالقطع الكبير ، فكان له يوم عيد ، بل يوم ما جاء عليه يوم هو أكثر فرحاً و سروراً فيه من هذا اليوم ، فعين يوما (و هو يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٥هـ) لضيافة

علماء المدينة و أحبته و أصدقائه ، شكراً لله تعالى و ابداءاً لسروره و فرحه ، وصنع طعاماً كثيراً على طريقة أهل الحجاز و أخبر تلاميذه و مريديه و أحبته فى الهند بهذا الموعد المبارك ليشاركوه فى السرور و الشكر .

و قد وهب المدرسة حقوق هذا الكتاب تنتفع به و هى صاحبة الامتياز فى طبعه و قد طبع مرتين ، و هذه هى الطبعة الثالثة بالحروف العربية للمرة الأولى مع زيادات و إفادات مهمة للشيخ محمد زكريا الذى كان له النصيب من أول عهد تأليف هذا الكتاب ، نسأل الله أن ينفع به طلبة العلم و يجعله ذخراً له فى الآخرة وذكراً فى الدنيا و صدقة جارية و باقية صالحة .

و كلمة عن خصائص هذا الشرح و التزامات المؤلف التى التزمها وعنى بها عناية خاصة وتؤثر الاجمال والاشارة فانما يعرف فضل هذا المجهود العلمى من باشر تدريس هذا الكتاب مدة طويلة و عرضت له مشكلات فنية .

فمنها أن المؤلف اهتم بأقوال الامام أبى داؤد صاحب الكتاب و كلامه فى الرواة أو فى إيضاح بعض ما ورد فى الحديث اهتماماً كبيراً .

و منها أنه اهتم بتصحيح نسخ السنن المختلفة المنتشرة و يراه القارىء كمثال فى باب افتتاح الصلاة فى حدث أبى حميد الساعدى .

ومنها الاهتمام البالغ بتخريج التعليقات والفحص عنها فى كتب أخرى وذكرها ، وإذا لم ينجح فى ذلك بعد التتبع البليغ صرح بذلك فى غير تردد .

و منها تطبيق الروايات بالترجمة و قد ظهرت فى ذلك دقة فهمه و طول تأمله و حيث تكررت الأبواب دفع ذلك و ذكر حكمة هذا التكرار ، و نضرب له مثلا بباب صفايا رسول الله ﷺ من الأموال وباب سهم الصفى ، فليراجع فى كتاب الخراج و الفيئ و الامارة .

و منها أنه حكم فى ما اختلف فيه الشراح بما شرح الله له صدره و فتح عليه و تكلم بكلام فصل يثلج الصدر و يحل العقدة .

و منها أن أكثر الكتب التى ألفت فى الهند فى شرح كتب الحديث أو فى إثبات المذهب الحنفى و فى مسألة خلافية ، كان يغلب عليها فى العهد الأخير الأسلوب الكلامى و الاستدلال العقلى ، و تكثر فيها اللطائف العلمية و مع الاعتراف بقيمتها العلمية و الكلامية و حسن قصد المؤلفين و علو كعبهم فى العلم يؤخذ عليها أنها لم تكن على طريقة المحدثين وشراح الحديث المتقدمين ، ويقل فيها الكلام على الرواة والجرح و التعديل و علل الحديث و طبقاته و إلى غير ذلك من المباحث الحديثية ، ويستثنى من ذلك كتابان من تأليف علماء المذهب الحنفى فى الهند فى العهد الأخير ، أولهما « كتاب المحلى شرح الموطا » للشيخ سلام الله بن شيخ الاسلام الدهلوى الرامفورى (١٢٢٩هـ أو ١٢٣٣هـ) وثانيهما « آثار السنن (١) والتعليق الحسن على آثار السنن » للشيخ العلامة ظهير حسن النيموى البهارى الهندى (م ١٣٢٩هـ) .

أما هذا الشرح فيمتاز بأنه كتب على نهج المشتغلين بالحديث و الباحثين فيه و كبار الشراح الذين تلقت الأمة شروحهم بقبول عام و انتفع بها طلبة العلم فى كل عصر ، و اشتمل على بحوث قيمة فى أسماء الرجال و أصول الحديث ، و عارض مؤلفه الحجة بالحجة ، و كان كلامه فى أكثر الأحيان محدوداً فى صناعة الحديث و متعلقاتها من الفنون .

وقد استفاد المؤلف فى هذا الشرح بتحقيقات شيخه الامام المحدث مولانا رشيد أحمد الكنكوهى التى جاءت فى دروسه ، وضبطها و قيدها تلميذه النابغة الشيخ محمد يحيى وكان من خصائصه أنه يتحرز بقدر الامكان عن نسبة الخطأ إلى الراوى ، و إذا التجأ إليه الشراح و لم يروا من ذلك بدأ فضل الشيخ العلامة تأويل ذلك بما يسيغه الفهم و يقبله العاقل المنصف ، ومثال ذلك الروايات التى جاء فيها وضع الخاتم ، فقد ذهب جميع المحدثين إلى أنه وهم من الزهرى و لكن مؤلف « بذل المجهود » أول

(١) مع الأسف أن الكتاب من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة ، و لو تم لكان عملا جليلا .

ذلك تأويلا حسناً وهو مقتبس من كلام الشيخ الكنكوهى ، فليراجع ذلك فى « باب الخاتم يكون فيه ذكر الله تعالى » فى كتاب الطهارة .

ومنها لطائف الاستنباط التى احتوى عليها هذا الشرح و يراها القارىء منثورة فى ثنايا هذا الكتاب .

و من المباحث اللطيفة التى ظهرت فيها سلامة فكر المؤلف و اطلاعه الواسع على كتب الحديث مسألة القسامة و يزول بكلامه اختلاف الروايات .

و كذلك من محاسن الكتاب ومن مواضعه المهمة التى ظهر فيها جهد المؤلف وإمعانه أحاديث الفتن و الملاحم ، و قد اجتهد فى تعيين هذه الفتن التى أشير إليها فى هذه الأحاديث ، و اهتم بترجيح الراجح وعين بعضها باجتهاده واستقصائه ويرى القارىء مثاله فى شرح كلام قتادة حيث جاء فى الكتاب « وكان قتادة يضعه على الردة التى فى زمن أبى بكر على أقذاء ، يقول قذى وهدنة ، يقول صلح على دخن على ضغائن »

وقد أشار فى شرح حديث إلى فتنة الشريف حسين بن على ، فليراجع ذلك فى حديث عبد الله بن عمر الذى جاء فيه « ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع (١) » و ذكر ذلك فى تفصيل و وضوح و يظهر فى كلامه فى مثل هذه المناسبات ثقته بتحقيقه وجزمه بما توصل إليه فى البحث والتأمل . و لا يغلب عليه التواضع والتردد فيبعث هذا الجزم الثقة و اليقين فى نفس القارىء ، و هذا من سياسة التعليم و حكمة التربية و من محاسن الشرح .

و قد يتردد الشارح فى صحة لفظ ورد فى حديث ، فيجتهد فى تحقيقه اجتهاداً بالغاً ولايدخر جهداً ، و يرى القارىء نموذج ذلك فى « باب عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون » فى كتاب الجهاد ، فقد ورد فى متن الحديث عن على بن أبى طالب

(١) بذل المجهود « كتاب الفتن و الملاحم » .

قال خرج عبدان إلى رسول الله ﷺ يعنى يوم الحديبية قبل الصلح وقد أطال الشارح الكلام فى وقوع القصة يوم الحديبية ، وأثبت أن هذه القصة وقعت فى غزوة الطائف و قال : لقد تحيرت فى هذه القصة التى قد وقعت فى حديث أبي داؤد و الترمذى و المستدرك فى الحديبية ، فالظاهر أن الذى ذكر فى أنها وقعت فى الحديبية غلط من بعض الرواة بثلاثة أوجه .

و ذكر هذه الأوجه بتفصيل ، و ذكر أن لفظ الحديبية ليس من على بن أبي طالب بل من بعض الرواة ، لأن فى لفظ الرواية لأبي داؤد زاد لفظ « يعنى قبل يوم الحديبية » فهذا يدل على أن لفظ الحديبية ليس فى أصل السند بل زاده بعض الرواة على ما فهم من لفظ شيخه ، ولو سلم أن هذه القصة وقعت فى الحديبية أيضاً فالمراد بقوله ناس من بعض الكفار من قريش الذين كانوا موجودين هناك لا الصحابة ، إلى آخر كلامه ، فليراجع ، و هذا تحقيق شريف خلت عنه الشروح .

و نقتصر فى هذه العجالة على هذه الاشارات ، و نحيل القارىء الذكى إلى مطالعة أصل الكتاب بانعام النظر ، فكما قال الشاعر :

فى طلعة الصبح ما يغنيك عن زحل

و نرى لزاماً و حقاً علينا أن نشكر تلاميذ الشيخ العلامة مولانا محمد زكريا الكاندهلوى الذين عكفوا على خدمة هذا الكتاب ، بالمراجعة مع الأصول و انتساخ التعليقات و وضعها فى محلها و غير ذلك ، فى مقدمتهم الشيخ تقى الدين الندوى المظاهرى أستاذ الحديث فى مدرسة فلاح الدارين بتركيسر (ولاية گجرات) فقد فرغ وقته لخدمة هذا الكتاب و عكف عليها سنة كاملة ، و العالمان الشابان محمد عاقل ، و محمد سلمان ، و لا ننسى فضل الزميلين العزيزين الشيخ محمد معين الندوى والأستاذ سعيد الأعظمى الندوى فى فكرة طبع هذا الكتاب ، و إبرازه فى هذا المظهر الجميل وماذللا فى طريق نشره من الصعاب و ما وفقا له من مجهود مشكور و عمل مبرور ، و إخلاص موفور ، و الله يتولى مكافأة الجميع ، ويتقبل عملهم .

و نسأل الله أن ينفع بهذا الأثر العلمي الجليل و يحبب به السنة و الحديث إلى نفوس القراء و يلهم العمل به، و يرفع الهمم و يشحذ العزائم إلى دراسته وخدمته « إنه على كل شئ قدير » .

أبو الحسن على الحسنى الندوى
الأمين العام لندوة العلماء لكناؤ — الهند
٢٩ - ٢ -- ١٣٩٢هـ

ترجمة المؤلف من «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»

لمؤلفه العلامة السيد عبد الحى الحسنى (م ١٣٤١هـ)

مولانا خليل أحمد الأنبيتهوى السهارنفورى

الشيخ العلامة الفقيه خليل أحمد بن مجيد على بن أحمد على بن قطب على بن غلام محمد الأنصارى الحنفى الأنبيتهوى ، أحد العلماء الصالحين ، و كبار الفقهاء و المحدثين .

ولد فى أواخر صفر سنة تسع و ستين و مأتين و ألف فى خئولته فى قرية « نانوته » من أعمال سهارنفور ، و نشأ ببلدة أنبيته من أعمال سهارنفور ، و قرأ العلم على خاله الشيخ يعقوب بن مملوك العلى النانوتوى ، والشيخ محمد مظهر النانوتوى ، وعلى غيره من العلماء فى المدرسة العربية بديوبند ، وفى « مظاهر العلوم » بسهارنفور ، والعلوم الأدبية على الشيخ فيض الحسن السهارنفورى ، فى لاهور ، قرأ فاتحة الفراغ فى سنة ثمان و ثمانين و مأتين و ألف ، و عين أستاذاً مساعداً « معين المدرسين » فى مظاهر العلوم ، و أقام مدة فى « بهوپال » و « سكندرآباد » و « بهاول پور » و « بريلى » يدرس و يفيد ، إلى أن أختير أستاذاً فى دار العلوم بديوبند فى سنة ثمان و ثلاث مـأة و ألف ، و مكث ست سنين ، ثم انتقل إلى مظاهر العلوم فى سنة أربع عشرة و ثلاث مأة و ألف ، و تولى رئاسة التدريس فيها ، واستقام على ذلك أكثر من ثلاثين سنة منصرفاً إليها انصرافاً كلياً ، و تولى نظارتها سنة خمس و عشرين و ثلاث مأة و ألف ، و صرف همته إليها و نالت به المدرسة القبول العظيم ، و طبقت شهرتها أرجاء الهند ، و أصبحت تضارع دار العلوم فى العلوم الدينية ، و المكانة العلمية ، و أمها الطلبة من الآفاق ، إلى أن غادرها فى سنة أربع و أربعين إلى الحرمين الشريفين ، فلم يرجع إليها .

و كان قد بايع الشيخ الامام العلامة رشيد أحمد الكنكوهى بعد ما فرغ من التحصيل و اختص به ، و سعد بالحج و الزيارة سنة سبع وتسعين ومأتين وألف ، ولقى بمكة الشيخ الأجل الحاج امداد الله المهاجر ، فأكرم وفادته ، وخصه بالعناية ، و أجازه فى الطرق ، و رجع إلى الهند ، فأجازه الشيخ الامام العلامة رشيد أحمد الكنكوهى ، و اختص به الشيخ خليل أحمد اختصاصاً عظيماً ، و انتفع به انتفاعاً كبيراً ، حتى أصبح من أخص أصحابه ، وأكبر خلفائه ، و من كبار الحاملين لعلومه و بركاته ، و الناشرين لطريقته و دعوته .

و كان قد درس الحديث دراسة إتقان و تدبر ، و حصلت له الاجازة عن كبار المشائخ والمسندين كالشيخ محمد مظهر النانوتوى ، والشيخ عبد القيوم البرهانوى ، والشيخ أحمد دحلان مفتى الشافعية ، والشيخ عبد الغنى بن أبي سعيد المجددى المهاجر ، و السيد أحمد البرزنجى ، و عنى بالحديث عناية عظيمة تدريساً و تأليفاً ، و مطالعة و تحقيقاً ، و كان من أعظم أمانيه أن يشرح سنن أبي داؤد ، فبدأ فى تأليفه سنة خمس و ثلاثين وثلاث مأة و ألف ، يساعده فى ذلك تلميذه البار الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوى ، و انصرف إلى ذلك بكل همته و قواه ، و عكف على جمع المواد و تهذيبها و إملائها ، لا لذة له ، و لا هم فى غيره ، وأكب على ذلك إلى أن سافر إلى الحجاز السفر الأخير فى سنة أربع و أربعين وثلاث مأة وألف ، و دخل المدينة فى منتصف المحرم سنة خمس و أربعين ، و انقطع إلى تكميل الكتاب حتى انتهى منه فى شعبان سنة خمس وأربعين ، وتم الكتاب فى خمسة مجلدات كبار ، و قد صب فيه الشيخ مهجة نفسه ، و عصارة علمه ، و حصيلة دراسته ، و قد أجهد قواه ، و أرهق نفسه فى المطالعة والتأليف ، والعبادة و التلاوة ، و المجاهدة والمراقبة ، حتى اعتراه الضعف المضنى ، و قل غذاؤه ، و غلب عليه الانقطاع ، و حبب إليه الخلاء ، و الشوق إلى اللقاء ، يصرف أكثر أوقاته فى تلاوة القرآن ، و يحضر الصلوات فى المسجد الشريف بشق النفس ، و قد ودع تلاميذه ، و خاصة أصحابه

للهند ، و بقي في جوار النبي ﷺ ، نزيل المدينة ، و حلس الدار ، مسغول الجسم بالعبادة و الذكر ، مربوط القلب بالله و رسوله ، منقطعاً عما سواه ، حتى أجاب داعي الله في المدينة المنورة .

كان الشيخ خليل أحمد له الملكة القوية ، و المشاركة الجيدة في الفقه والحديث ، و اليد الطولى في الجدل و الخلاف ، و الرسوخ التام في علوم الدين ، و المعرفة و اليقين ، و كانت له قدم راسخة ، و باع طويل في إرشاد الطالبين ، والدلالة على معالم الرشد و منازل السلوك ، و التبصر في غوامض الطريق و غوائل النفوس ، صاحب نسبة قوية ، و إفاضات قدسية ، و جذبة إلهية ، نفع الله به خلقاً كثيراً ، و خرج على يده جمعاً من العلماء و المشايخ ، و نبغت بتربيته جماعة من أهل التربية و الارشاد ، و أجرى على يدهم الخير الكثير في الهند و غيرها في نشر العلوم الدينية ، و تصحيح العقائد و تربية النفوس ، و الدعوة و الاصلاح ، من أجلهم العلامة الكبير الشيخ محمد يحي الكاندهلوي ، وشقيقه المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس بن إسماعيل الكاندهلوي الدهلوي صاحب الدعوة المشهورة المنتشرة في العالم ، والمحدث الجليل الشيخ محمد زكريا بن يحي الكاندهلوي السهارنفوري ، صاحب « أوجز المسالك » و « لامع الدراري » و المؤلفات المقبولة الكثيرة ، و الشيخ عاشق إلهي الميرتهي ، و غيرهم .

كان جميلا وسيماً ، مربوع القامة ، مائلا إلى الطول ، أبيض اللون ، تغلب فيه الحمرة ، نحيف الجسم ، ناعم البشرة ، أزهر الجبين ، دائم البشر ، خفيف شعر العارضين ، يحب النظافة و الأناقة ، جميل الملبس نظيف الأثواب في غير تكلف أو إسراف ، وكان رقيق الشعور ، ذكي الحس ، صادعاً بالحق ، صريحاً في الكلام في غير جفاء ، شديد الاتباع للسنة ، نفوراً عن البدعة ، كثير الاكرام للضيوف ، عظيم الرفق بأصحابه ، يحب الترتيب و النظام في كل شئ ، والمواظبة على الأوقات ، مشتغلا بخاصة نفسه ، و بما ينفع في الدين ، متنحياً عن السياسة ، مع الاهتمام بأمور المسلمين ،

و الحمية و الغيرة فى الدين ، حج سبع مرات ، آخرها فى شوال سنة أربع و أربعين من الهجرة .

له من المصنفات « المهند على المفند » و « إتمام النعم على تبويب الحكم » و «مطرقة الكرامة على مرآة الامامة » و « هدايات الرشيد إلى إفحام العنيد » كلاهما فى الرد على الشيعة الامامية ، و « بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد »

كانت وفاته بعد العصر من يوم الأربعاء فى السادس عشر من ربيع الآخر سنة ست و أربعين وثلاث مأة و ألف فى المدينة المنورة ، وشيعت جنازته فى جمع عظيم ، و رؤيت له رؤى صالحة ، و دفن فى البقيع لدى مدفن أهل البيت (١) .

---

(١) الترجمة منقولة بتعديل يسير من المجلد الثامن ، لكتاب نزهة الخواطر ، طبع دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد (الهند) .

ترجمة المؤلف

بقلم أحد كبار العلماء (١)

قال الله تبارك و تعالى : « الله يجتبي إليه من يشاء و يهدى إليه من ينيب » و قال سبحانه و تعالى : « نرفع درجات من نشاء و فوق كل ذى علم عليم » و قال سبحانه و تعالى : « نصيب برحمتنا من نشاء ، و لا نضيع أجر المحسنين » وقال سبحانه وتعالى: « يختص برحمته من يشاء » و قال عليه الصلاة والسلام : « ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له فى أمته حواريون و أصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بأمره » الحديث ، وقال عليه الصلاة و السلام : « لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » و قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لايزال يغرس لهذا الدين غرساً » و قال ابن سيرين : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » و بناءاً على ما تلونا من الآيات و سردنا من الروايات و على ما يماثله من الآيات و الأحاديث و الأقوال لم يزل الأسلاف يذكرون تراجم المشايخ والأعلام ، ويبثون ما منحهم الله تعالى من المزايا والمكارم بين الأنام ، وأتوا بتصانيف مفردة وغير مفردة فى أحوال الرجال ، ولم يتساهلوا فى تبيين الحق وضبط طبقات أهل الفضل والكمال، فمن مقل و مكثر و مطنب و موجز ، كى تطمئن النفوس بافاضاتهم ، وتستقر القلوب لدى إفاداتهم ، و لا يبقى مظنة لريب المرتابين و تنقطع أعناق شبهات المنكرين

(١) المراد به شيخ الاسلام الشيخ العلامة السيد حسين أحمد المدنى المتوفى لاحدى عشرة خلون من جمادى الأولى سنة سبع و سبعين و ثلاث مأة وألف . ولم يصرح الكاتب العلام باسمه تواضعاً منه و ختمه بالعبارة اللآتية « كتبه بعض المتسبين إلى أعتاب حضرة الشيخ غفر الله له ولوالديه و مشائخه أجمعين » و قد ترجح عند الناشرين التنويه باسمه لفوائد كثيرة .

و الجاحدين ، و يكون ذريعة للسان الصدق فى الآخرين ، و أسوة حسنة للهداة و المتأسين ، و مهيجاً لهمم الضعفاء مذكراً للغافلين ، و هداية للعرضين عن المقال جانحين إلى القائلين ، فلا يستمطر كل وبل وطل و لا يقصد باب كل من جل وقل ، و لا يعتمد على كل من عرف أو جهل ، استحسنا أن نوشح هذا الكتاب بنبذة من ترجمة المؤلف دام مجده ، فنقول .

هو الثقة ، الثبت ، الحجة ، الحافظ ، الصدوق ، محى السنة السنية ، قامع البدع الشنيعة ، شعاره طريقة رسول الله ، ثاره التقوى و مخافة الله ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، و لا يزعجه عن الطريق القويم مهابة غوى ظالم ، حاز قصبات السبق فى ميادين الفضل و الكمالات فأعيي الأقران ، و نشر ألوية الجهاد فى سبيل الله بالحجج والبينات فأبكم كل متشدق لسان ، نبعت من إفاداته عيون العلم و النهى ، وتفجرت من إفاضاته أنهار الاحسان والتقى ، أشرقت أراضى التحديث بأنوار رواياته ، و تلالأت أفلاك التفقه بأضواء دراياته ، أبو حنيفة زمانه و شبلى عصره و دورانه مولانا أبو إبراهيم خليل أحمد الأيوبى الأنصارى نسباً ومحتداً ، والحنفى الرشيدى مشرباً و مذهباً و الجشتى القادرى النقشبندى السهروردى طريقة و مسلكا ، لازالت بحار فيضه زاخرة على ممر الليالى والأيام وشموس إفاداته لامعة على رؤس الخلائق والأنام ، يتصل نسبه الطاهر إلى سيدنا أبى أيوب الأنصارى الخزرجى رضى الله تعالى عنه ، و ولد دام مجده فى أواخر صفر سنة تسع و ستين بعد الألف و المأتين من هجرة من هو مدار الفضائل الروحية و محط الفيوض الرحمانية (عليه الصلاة و السلام) فى أخواله بنانوته (كورة من نواحى سهارنفور الهند) ثم ترعرع فى ظلال أبويه الكريمين ـ رحمهما الله تعالى ـ فى موطنهما كورة انبهثه ، و سمى بظهير الدين أحمد أيضاً لدلالته على ما يقارب زمان مولده و للتفاؤل بأنه سيصير ظهيراً للدين الحنيف حسبما صاح به الهاتف المنيف ، كانت لوائح الذكاء و الفطانه تشرق على سرر جبينه فى أيام صباه و منادى الأقدار كان يسمع كل ذى عقل بأنه سيكون خليل الخليل فيحمد

عقباه ، فأبرزت لطائف الأقدار مكنوناتها ، و لفظت قوى الأرواح بمخزوناتها ، حين أخذ عالم الأسباب بما تقرر فى عوالم الأمثال ، و صارت ألسنة الشهادة تروى له مسلسلات الأفضال ، فاشتغل بالعلوم فى صباه وأقرانه بين الماء و الطين و تأدب بآداب الصلاح لدى والده الشاه مجيد على المرحوم ، فجد فى المتعلمين ، صار يقرأ و يستفيض سحبه الهطالة فى موطنه . حتى لفظته الأقدار إلى رياسة كواليار فلازمه إلى مقره .

و هنالك اشتغل بمبادىء العلوم العربيـة على عمه مولانا الشيخ أنصار على المرحوم ، ثم بعد برهة رجع إلى وطنه فحضر لدى علماء البلد من أرباب المعرفة والعلوم ، و لم يزل يستغرف بحارهم الزاخرة و يستمطر سحبهم الهطالة إلى أن أسست دار العلوم الاسلامية الفيحاء ، بديوبند الشهيرة الزهراء فى سنة ألف و مأتين وثلاث و ثمانين من هجرة من له المجد و العلياء ، فارتحل إليها مقتبساً عن أنوار شموسها و مستضيئاً بأضواء كواكبها و بدورها ، ثم بعد أشهر لما تأسست هذه الكلية التى هى منابع للعلوم و مظاهرها و مطالع لشموس المعارف ومشارقها ، المدرسة العلية مظاهر العلوم بسهارنفور ، قصدها مشمراً عن ساق الجد فى تحقيق المسائل وحفظها و إتقان العلوم و وعيها ، و لم يزل يجد فى الاستشراق عن كواكبها الدرية و سياراتها المضيئة حتى أن فرغ سائر الكتب الدرسية ، والفنون الآلية العربية والعلوم العقلية والنقلية ، المتوسطات منها و الانتهائية حينما كان مدار أكثر الافاضة ساعتئذ على فخر الأكابر و الأماثل قدوة الأماجد و الأفاضل أستاذ الأساتذة قدوة الأئمة و الجهابذه ، رئيس العلماء ورأسهم ، وإمام أهل التحقيق و أساسهم ، مركز دائرة الذكاء و البهاء وشمس نجوم الأخلاق النبوية والسخاء ، صدر المدرسين والمحدثين ، سند المفسرين والمتكلمين ، العارف بالله مولانا الشيخ محمد مظهر النانوتوى الحنفى الجشتى القادرى النقشبندى السهروردى ـ قدس الله سره العزيز ـ فأخذ عنه الأمهات وغيرها من كتب الحديث و التفسير و الأصول و الفروع ، سماع فقه و دراية و لم يقتنع بسرد الألفاظ

و مجرد الرواية ، و هو ـ رحمه الله تعالى ـ من أرشد تلامذة إمام عصره و أوانه و فريد دهره و زمانه مولانا مملوك علي النانوتوي الصديقي الحنفي ـ قدس الله سره العزيز ـ جد المؤلف أبي أمه ، عن شمس العلماء و إمام الأتقياء مولانا رشيد الدين خان الدهلوي الحنفي ـ قدس الله سره العزيز ـ عن أبي حنيفة زمانه وبخاري عصره وأوانه، رئيس الحكماء المحققين وسند الأولياء العارفين مولانا الشاه عبد العزيز الدهلوي العمري الحنفي ـ قدس الله سره العزيز ـ وقد روى حضرة مولانا محمد مظهر المؤمى إليه صحيح البخاري عن الشهير في الآفاق مولانا الشاه محمد إسحاق العمري الدهلوي ثم المكي ، الحنفي ـ قدس الله سره العزيز ـ و كذلك يروى حضرة الأستاذ المؤلف سائر كتب الحديث قراءة و إجازة عن حبر الأمة كاشف الغمة مولانا الشيخ عبد القيوم البذهانوي ثم البهوپالي ختن حضرة العلامة الشاه محمد إسحاق المؤمى إليه ـ نور الله مرقده ـ و يروى أيضاً سائر كتب الحديث وفنونها عن الأساتذه رئيس الكرام و الجهابذة الامام الحجة مولانا عبد الغني العمري المجددي الدهلوي ثم المدني ـ قدس الله سره العزيز ـ [ح] و عن الشهير الامام الحجة السيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية في زمانه بمكة المكرمة ـ رحمه الله تعالى ـ [ح] و عن صدر علماء دار الهجرة السيد أحمد البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة ـ رحمه الله تعالى ـ و لم يزل مولانا الخليل ـ دام مجده ـ يغترف من بحار حبر الأمة مولانا محمد مظهر ـ قدس سره العزيز ـ و يكتسب الأخلاق و المعاني من صحبته الفيحاء و ينور قلبه من معارفه الزهراء إلى أن ارتوى بما لديه من عذب العلوم و كتبها و شهد له الأساتذة الأعلام بمناصب التكميل و أعالي رتبها ، و ذلك في سنة ثمان و ثمانين بعد الألف و المأتين من الهجرة و كانت سنه الشريفة إذ ذاك تسع عشرة سنة .

ثم لم يقتنع نفسه المنهومة في العلم ، الحريصة في العرفان بذلك القدر من الحكمة و الايقان ، فأقلقه إلى مركز دوائر الأدبيات العربية ومنبع أنهار المعالم اللغوية أستاذ الأساتذة إمام الحفاظ الجهابذه ، أصمعي زمانه و سيبويه دورانه مولانا الشيخ فيض

الحسن السهارنفورى الحنفى - قدس سره العزيز - و قد كان إذ ذاك مرجع الفنون العربية و مدارها فى كلية لاهور فأقام لديه شهوراً يرتشف من عذب بنات شفاهه ، ويشنف آذانه من مزاهر آدابه وبيانه ، إلى أن رقته ألطاف المبدأ الفياض إلى معارج القيام بخدمة العباد و إيصالهم إلى خفايا مكنة فى فطرهم من الهدايه و الرشاد ، فولى خدمة التدرس بمنكلور فشمر عن ساق الجد فى طرق الافادة ، وأسهر الليالى مجتهداً فى مطالعة الفنون و الافاضة ، و هنالك أخذته الجذبة الالهية ، و السابقة الأزليـــة و اللطائف القدسية ، و المنح الربانيـة فأقلقته إلى حضور رب الأرباب و الدخول فى حلقة الروحانيين الذين أزيل عنهم الرين والحجاب ، فوقف مدة يتطلع إلى شموس زمانه و الأقمار ، و يستطلع بغيته فى كل جنة ذات ثمار و أزهار ، إلى أن تغرد بلبل التغريد و رنح عندليب التوحيد ، و غنى بلحن ناشط سديد ، أن دع الهيام والحيرة و اقصد الباب الرشيد ، فان هنالك الفوز و الوصول لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد ، فلباه بقلبه ، و اعتقده إشارة ربه ، فلم يصبر حتى أن ألقى نفسه بفناء إمام العارفين سند الواصلين ، قطب السالكين شمس الهداة الكاملين ، الفانى الباقى و المرشد الصافى ، السالك المجذوب ، و الصديق المحبوب ، قطب العالم مولانا وسيدنا أبى مسعود رشيد أحمد الأيوبى الأنصارى الـگنگوهى الحنفى الجشتى القادرى النقشبندى السهروردى - قدس الله سره العزيز - .

فلم يزل واقفاً على أعتابه يستغيث سحبه الهطالة ، و يستضيء شموسه اللماعة ، إلى أن أوصلته العواطف الربانية و السوابق الصمدانية ، أعلى درجات الوصول والنهاية ، و بلغ غاية درجات السلوك و الهداية ، فحقق له أن يفوض إليــه تسليك عباد الله و التربية ، و إحياء الأرواح و النفوس بأمطار الرياضات والتزكية ، فأجاز له حضرة قطب الأقطاب مولانا الكنكوهى - قدس الله سره العزيز - المومى إليه إجازة الارشاد و الايصال ، بأن كتب بأحواله القدسية و مدارجه العالية إلى ذروة المجد و الكمال إمام العارفين وحجة الله فى العالمين القطب الربانى والامام الصمدانى مولانا الحاج امداد

الله المكى الجشتى النقشبندى القادرى السهروردى العمرى - قدس الله سره العزيز - فبجله و أكرمه بالخرقة و الاجازة و أقامه مقام نفسه و ابسه ما كان على رأسه من الطاقية والعمامة ، فياحبذا من نعمة خصه الله تعالى بين الاخلاء و الأصفياء وأمده بامدادات حسده عليها أرباب الأحوال و الاهتداء ، و ذلك سنة ست و تسعين لدى حضوره الحرمين الشريفين ، و الحجازين المكرمين ، و قد كان قبل ذلك تشرف بالحج و الزيارة الشريفة سنة ثلاث و تسعين بعد الألف و المأتين ، حين إقامته بلدة بهوپال .

وفى هذه المرة اجتمع بسيد أرباب الكشف والشهود، وملاذ قاصدى أحاديث الرسول عليه السلام و الوفود ، إمام الروية و الرواية ، قطب الهداية و الدراية ، مفخر المحدثين ، وسند المفسرين ، من انتهت إليه رئاسة الحديث بدار الهجرة ، واشتهر فضله شرقاً و غرباً بين أرباب الكمال والمهرة ، مولانا العارف بالله الشيخ عبد الغنى الحنفى المجددى النقشبندى الدهلوى ثم المدنى المومى إليه سابقاً ـ قدس الله سره العزيز ـ فمنحه حضرة الشيخ الاجازة العامة بجميع ما كانت تصح له روايته عن شيخيه المعروفين و الامامين الهمامين ، مولانا العارف بالله الشهير فى الآفاق مولانا الشيخ محمد إسحاق العمرى الدهلوى ثم المكى ـ قدس الله سره العزيز ـ و مولانا العارف بالله الشيخ محمد عابد الأنصارى الحنفى السندى ثم المدنى ـ قدس الله سره العزيز ـ و أسانيدهما مشهورة ، ثم بعد رجوعه من هذه السفرة الأولى حداه القضاء و القدر لتكميل أهل بهاول پور و تربيتهم فأدى هذه الخدمة الشريفة لدى بعض الخواص من سكانها ، ثم ولى خدمة التدريس و الافادة ، بمدرستها المشهورة لدى أرباب العلم والافاضة ، فأقام هنالك اثنتى عشرة سنة يسقى ظماءهم بفراته ، ويداوى جرحاهم بمرهم وعظه وشفاء كلماته ، فدرس هنالك وصنف، و قلوباً أحياها و أحزانا شنف ، فضرب الناس بعطن ، و انقطع عنهم الظمأ و حرارة الفتن، ثم ولى بعد إقامته برهة ببريلى ، تدريس أعالى الفنون و كتب المدرسة العالية الديوبندية المشهورة فى القديم والحديث ،

فلم يزل ينور قلوب الطالبين بشموس علومه و معارفه و يحيي أرواح عفاة الفنون بمعجزات البيان ومعالمه إلى أن حان أن ينتبه طالع مظاهر العلوم ، و منذ مدة كان غارباً فى النوم والغفلة ، فاستولت عليها حوادث الدهر ، فلم تبق له إلا اسمه ورسمه فسعى أركانها إلى حضرة القطب الكنكوهى المومى إليه - قدس سره العزيز - طالبين أمره الشريف بقبول صدارة التدريس بها فلباه ، و رقاها إلى أوج الكمالات فكل مسابق أعياه ، و ذلك فى سنة أربع عشرة بعد الثلاث مأة و الألف من الهجرة ، فاقتصرت عليه الكتب العالية من الحديث و التفسير و الفقه و الأصول و غيرها فغرسها بغاية الاتقان و التحرير حتى أن ضرب الناس بأكباد إبلهم إلى فنائه و رحابه و صار المشرق و المغرب يلفظ أفلاذ أكباده إلى أعتابه و جنابه ، فنقح المسائل و رتب و نشر الأحاديث فى الآفاق و ألف ، و فتح آذاناً صماً وأحيي قلوباً غلفاً .

و حيث إن سنن أبي داؤد كان من أمهات الأحاديث و أصولها و جامعاً للمعتبر من الروايات وفروعها ، كافياً لمن أراد التبصر فى السنن النبوية ، معتمداً لمن قصد الاجتهاد فى المعارف الدينية ، و توجه إليه الأئمة الحاذقون بالشروح و الحواشى ، و خدموه بإزالة غموضاته و كشف الغواشى ، فمنهم من توجه إلى فقه الأحاديث و المتون ، و منهم من قصد الأسانيد و الاستيعاب لكل ما يجب من العلوم والفنون ، فمن مطول و مختصر و من مطنب و مقتصر ، و لما رأى حضرة الأستاذ - مد الله ظاله العالى - أن هذه الشروح والحواشى قد اعبث بها بنات الأفلاك وحوادث الدهر ، ولم يبق لها فى صفحات الوجود إلا أساميها الموجبة للحسرات والويلات لأبناء العصر ، قصد أن يشرحها شرحاً وجيزاً يحل مشكلاته و يفصل معضلاته ، و لا يترك شيئاً من عجره و بجره ، و لا يبقى مستوراً من خبايا كنوزه و بدره ، و لكن عاقته عوائق الدهر عن الاسعاف ، و صادمته صوارف الزمان بكل جور واعتساف ، فلم يزل يقاومها بكل همة و استقلال ويصرف لمعارضتها ثواقب العزم بغاية القوة والكمال ، إلى أن أيدته النفحات القدسية و الألطاف العلوية فشرع فى المأمول ، و اجتهد فى

المسئول ، و كان قد سود مضامينها فى السنين السالفة ، و زين صفحات الأوراق بجواهر ألفاظها اللامعة ، بيد أنه لم يكن ينفرغ للتكميل بهجوم مشاغل التدريس والتعليم و كثرة أفكار تتعلق بترتيب المدرسة والتنظيم ، فلما رجع حضرته من الحجة السادسة سنة ألف و ثلاث مأة و أربعين فرغ نفسه للتأليف و توجه بشراشره للترشيق و التصنيف ، وشمر نفسه عن ساق الجد فى التسويد و الترتيب ، معرضاً عن الاطناب الممل والايجاز الغريب ، لجاء بحمد الله عز وجل ما يروق به عيون الأرواح وتنجلى به الغموم و الهموم و تطمئن الخواطر بالسكون و غاية الارتياح ، وقد حصل الفراغ عن تسويد الجزء الأول سنة أربعين بعد الألف والثلاث مأة ، وعن الثانى منه سنة اثنتين و أربعين بعد الألف و الثلاث مأة ، ثم شرع فى الجزء الثالث منه و على الله الايفاء بالمقاصد والتكميل ، ومن فضله ومنه يرجى الجزاء الحسن والثواب الجزيل .

و للمؤلف ـ دام مجده و علاه ـ تصانيف عديدة فى مهمات المسائل وفروعها ، و تأليف جميلة فى إحقاق العقائد الحقة و توطينها ، و له ملكة فى فنون الجدل و المناظرة وإقامة البراهين و الحجج الباهرة ، فانه داهية كبرى على الشيعة الشنيعة الفاجرة ، وطامة عظمى على المبتدعة الضالة العاجزة ، فمنها « المهند على المفند » ذكر فيها معتقداته ومعتقدات مشايخه الكرام أتباع الأسلاف العظام ، وأهل السنة الفخام ، رداً على ما افترى عليهم الخبثاء اللئام ، مما تقشعر منه الجلود و تفتت عنه العظام ،

ومنها « تنشيط الأذان » ذكر فيها ما أخطأ فيه بعض من ادعى العلم وانتحله أن محل الأذان خارج المسجد يوم الجمعة لدى الخطبة .

و منها « مطرقة الكرامة على مرآة الامامة » كتاب سيط فى رد الروافض ذكر فيه أصولهم القبيحة ، و معتقداتهم الشنيعة ، و أتى على خزعبلاتهم فأوهاها ، وأرسل الصواعق على حججهم فدك جبالهم الشامخة و سواها ، طبع منه الجزء الأول فقط ، ثم عز وجوده و لم يطبع بعد .

و منها « هدايات الرشيد » كتاب بسيط جداً فى رد الروافض وإظهار أصولهم

الفاسدة ، و عقائدهم الباطلة ، و توهين قواهم ، و إخفاض علاهم ، عديم النظير فى بابه ، كامل التقريب فى حججه وأبوابه ، قلت: نسخه الآن فناه المشتاقون ، واشتدت حاجته الحين ، فأصر المفتاقون ، وعلى الله التيسير وهو الميسر لكل عسير .

ومنها « إتمام النعم على تبويب الحكم » كتاب جليل فى تهذيب الأخلاق والتصوف كتبه حضرة الشيخ مد الله ظله العالى ، بأمر قطب العالم مولانا العارف بالله المهاجر المكى - قدس الله سره العزيز - مترجماً للجواهر المنظمة من حكم ابن عطاء الله السكندرى - رحمه الله - بطريق يسهل على الطالبين الاغتراف من بحاره و على السالكين الاستضاءة من أنواره ، و له - دام مجده - مؤلفات أخر شهيرة طبع منها البعض ، و لم يطبع البعض .

و لم يزل حضرته - دام مجده - مجداً فى نشر العلوم و إحياء الدين ، و تقويم ما تعوج من أمور الاسلام و المسلمين ، علماً مضيئاً للطلبة و السالكين ، ناصحاً مخلصاً للأمة المحمدية أجمعين ، إماماً للهداة و العالمين ، خادماً للعالم الانسانى و المهتدين ، عاضاً بالنواجذ على سنن سيد المرسلين ، عليه أفضل صلوات المصلين ، وأكرم تسليمات المسلمين ، متبعاً لما كان عليه الأسلاف الكرام ، مجتنباً عن جميع ما اخترعته اللئام ، مفنياً أوقاته فى إرضاء المفضل المنعام ، و عبادات زاكية حين تثقل المضاجع بالنيام ، و رياضات شاقة على النفس و الشيطان ، و احتسابات تزيل الغفلة و توقظ الوسنان ، ومراقبات تديم الشهود و الاحسان ، و أذكار تنور الجسد و الجنان ، وتسليك لعفاة الطريقة ، و إرشاد لظمأى خمور العشق و الحقيقة ، و لمثله ما قيل :

يبيت مشمراً سهر الليالى ... و صام نهاره لله خيفه
وصان لسانه عن كل إفك ... و ما زالت جوارحه عفيفه
يعف عن المحارم و الملاهى ... و مرضاة الاله له وظيفه

وقد أخذ عنه العلوم الظاهرة ، و روى عنه الأحاديث الطاهرة ، أئمة ذوو رواية و رؤية ، و طلبة أصحاب درايات درية .

لا يحصى عددهم إلا الله العظيم ، و لا يحيط بمراكزهم إلا الخالق العليم ، لم تزل أنهار فيوضه جارية بالمشرقين ، و شموس فضائله لامعــة على رؤس أهل المغربين ، و تاب على يده الشريفة خلق كثيرون ، فاستضاء بأنواره الباطنة منهم الصالحون ، إلى أن استوى منهم جماعات على عروش التسليك والتلقين فامتاز بينهم بالخرقة والخلافة أماماً قائداً لأهل السكينة و اليقين .

منهم حضرة الشيخ الأجل و الفاضل الأبجل من أحيي بطبيعته الوقادة العــلوم و السنن ، و نور بفطانته النقابة النفوس والزمن مولانا محمد يحيي الكاندهلوى ـ قدس الله سره العزيز ـ .

ومنهم التقى الصالح و الورع البارع مولانا عبد الله الكنكوهى ـ المرحوم ـ .

و منهم الأديب البارع و الزكى الفارع صاحب التصانيف العالية والتآليف الزاكية مولانا الحاج عاشق إلهى الميرتهى ـ دام مجده ـ .

و منهم مولانا الحاج فخر الدين نزيل غازى آباد .

و منهم مولانا الحافظ الحاج محمد إلياس الكاندهلوى نزيل نظام الدين دهلى .

و منهم مولانا الحافظ فيض الحسن الكنكوهى نزيل لكهنؤ .

ومنهم الحاج محمد حسين الحبشى نزيل مكة المكرمة فى السلسلة النقشبندية خاصة .

وليكن هذا آخر ما أردناه عن إفصاح ترجمة حضرة الشيخ ـ دام مجده ـ بغير إطناب و لا تطويل ، فان إكمال ذكر ما منحه الله عز و جل لا يحويه إلا الطامور العريض الطويل ، بلغه الله تعالى على أقصى مراداته فى الدارين ، و أسبل علينا من بركاته و فيوضـاته ما يسترنا عن فضائح الكونين ، و آخر دعوانا أن الحمــد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين ، و آله وصحبه وأتباعهم الى يوم الدين . آمين .

رسالة الامام أبي داؤد

إلى أهل مكة فى وصف الكتاب و بيان خصائصه و التزاماته

الحمد لله على نعمه الجمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيح كل كرب و غمة ، و أشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله الذى أنار بشريعته البيضاء حلك الليالى المدلهمة ، صلى الله عليه و على آله وصحبه المخصوصين بعلو الهمة .

قال أبو داؤد فى رسالته : إلى أهل مكة سلام عليكم ، فانى أحمد إليكم الذى لآ إله إلا هو ، و أسأله أن يصلى على محمد عبده و رسوله ﷺ كما ذكر .

أما بعد : عافانا الله و إياكم عافية لا مكروه معها ولاعقاب بعدها ، فانكم سألتمونى أن أذكر لكم الأحاديث التى فى كتاب السنن ، أهى أصح ما عرفت فى الباب و وقفت على جميع ما ذكرتم ؟ فاعلموا أنه كذلك كله إلا أن يكون قد روى من وجهين أحدهما أقوى إسناداً و الآخر صاحبه أقدم فى الحفظ ، فربما كتبت ذلك ، و إذا أعدت الحديث فى الباب من وجهين أو ثلاثة مع زيادة كلام فيه ، و ربما كلمة زائدة على الحديث الطويل لأنى لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من سمع و لا يفهم موضع الفقه منه فاختصرته لذلك .

أما المراسيل : فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى ، مثل سفيان الثورى ومالك والأوزاعى ، حتى جاء الشافعى فتكلم فيه ، وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره ، فاذا لم يكن مسند غير المراسيل ، و لم يوجد المسند فالمرسل يحتج به ، و ليس هو مثل المتصل فى القوة ، وليس فى كتاب السنن الذى صنفته على رجل متروك الحديث شئ ، و إذا كان فيه حديث منكر بينته أنه منكر ، وليس على نحوه فى الباب غيره ، و ما كان فى كتابى من حديث فيه وهن شديد ، فقد بينته منه ما لا يصح سنده ، و ما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح ، و بعضها أصح من بعض ، و هو كتاب لايرد

عليك سنة عن النبي ﷺ إلا و هو فيه إلا أن يكون كلام استخرج من الحديث ، و لا يكاد يكون هذا ، و لا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب، ولا يضر رجلا أن لا يكتب من العلم بعد ما يكتب هذا الكتاب شيئاً ، و إذا نظر فيه و تدبره و تفهمه حينئذ يعلم مقداره .

وأما هذه المسائل ، مسائل الثورى ومالك والشافعى فهذه الأحاديث أصولها ، و يعجبنى أن يكتب الرجل مع هذه الكتب من رأى أصحاب النبى ﷺ ، و يكتب أيضاً مثل جامع سفيان الثورى ، فانه أحسن ما وضع الناس من الجوامع ، والأحاديث التى وضعتها فى كتاب السنن أكثرها مشاهير، وهو عند كل من كتب شيئاً من الحديث إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس ، والفخر بها أنها مشاهير ، فانه لايحتج بحديث غريب ، و لو كان من رواية مالك و يحيى بن سعيد و الثقات من أئمة العلم ، ولو احتج رجل بحديث غريب و حديث من يطعن فيه لا يحتج بالحديث الذى قد احتج به ، إذا كان الحديث غريباً شاذاً ، فأما الحديث المشهور المتصل الصحيح فليس يقدر أن يرده عليك أحد ، قال إبراهيم النخعى:كانوا يكرهون الغريب من الحديث ، وقال يزيد بن أبي حبيب: إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة فان عرف وإلا تدعه ، و إن من الأحاديث فى كتاب السنن ما ليس بمتصل و هو مرسل و مدلس ، إذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل ، و هو مثل الحسن عن جابر و الحسن عن أبي هريرة و الحكم عن مقسم عن ابن عباس ، وليس بمتصل ، و سماع الحكم عن مقسم أربعة أحاديث ، وأما أبو إسحاق عن الحارث عن على فلم يسمع أبو إسحاق من الحارث إلا أربعة أحاديث ليس فيها مسند واحد ، وما فى كتاب السنن من هذا النحو فقليل ، ولعل ليس فى كتاب السنن للحارث الأعور إلا حديث واحد ، وإنما كتبته بآخره ، و ربما كان فى الحديث ما لم يثبت صحة الحديث منه أنه كان يخفى ذلك على فربما تركت الحديث إذ لم أفقه ، و ربما كتبته إذا لم أقف عليه ، و ربما أتوقف عن مثل هذه لأنه ضرر على العامة أن يكشف لهم كلما كان

من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا ، وعدد كتبي هذه السنن ثمانية عشر جزءاً مع المراسيل منها جزء واحد .

و ما يروى عن النبي ﷺ من المراسيل منها ما لا يصح ، و منها ما يسند عند غيره ، و هو متصل صحيح ، و لعل عدد الأحاديث التى فى كتبي من الأحاديث قدر أربعة آلاف حديث وثماني مأة حديث ، ونحو ست مأة حديث من المراسيل ، فمن أحب أن يميز هذه الأحاديث مع الألفاظ ، فربما يجيء الحديث من طريق ، وهو عند العامة من حديث الأئمة الذين هم مشهورون غير أنه ربما طلب اللفظة التى تكون لها معان كثيرة و ممن عرفت ، و قد نقل من جميع هذه الكتب ممن عرفت فربما يجيء الاسناد فيعلم من حديث غير أنه متصل ، و لا يتنبه السامع إلا بأن يعلم الأحاديث ، فيكون له فيه معرفة فيقف عليه مثل ما يروى عن ابن جريج قال : أخبرت عن الزهري ويرويه البرساني عن ابن جريج عن الزهري ، فالذى يسمع يظن أنه متصل و لا يصح بينهم ، وإنما تركنا ذلك لأن أصل الحديث غير متصل ، وهو حديث معلول ، و مثل هذا كثير ، و الذى لا يعلم يقول : قد تركت حديثاً صحيحاً من هذا وجاء بحديث معلول ، وإنما لم أصنف فى كتاب السنن إلا الأحكام ولم أصنف فى الزهد وفضائل الأعمال وغيرها ، فهذه أربعة آلاف والثمان مأة كلها فى الأحكام ، فأما أحاديث كثيرة صحاح من الزهد و الفضائل و غيرها فى غير هذا لم أخرجها ، و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

انتهت الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بذل المجهود

الحمد لله المتأزر بازار العظمة و العلاء ، المرتدى برداء المجد والعزة والكبرياء ، أللهم لا نحصى عليك الثناء ، أنت كما أثنيت على نفسك بلا امتراء ، فأنت أللهـم من درك العقول و الظنون و الأوهام وراء الوراء ، ثم وراء الوراء ، ثم وراء الوراء ، سبحانك ما أعظم شأنك و أحكم برهانك ، مننت علينا بارسال الرسل وكرمتنا بانزال الكتب من السماء ، و هديتنا الملة الحنيفية السمحة السهلة البيضاء ، التى ليلها و نهارهـا سواء ، وعلمتنا من العلوم النبوية و الحكم المصطفوية ما لم نعلم فعلونا به مدارج السماء .

أللهم فصل و سلم و زد و دم و تفضل وبارك و أنعم على سيدنا سيد الرسل ، و خير خلقك عبدك محمد داعى الخلق ، و الهـادى إلى الحق ، المـاحى سبل الضلال والفسق ، تنور العالم بنور هدايته وضيائه ، وتزينت السماوات والأرض بزينته وبهائه ، و على آله و أصحابه نصحائه و أمنائه .

أما بعد : فيقول العبد الفقير الحقير الجامع لجميع السيئات و التقـاصير ، المدعو بخليل أحمد بن الشاه مجيد على بن شاه أحمد على بن شاه قطب على تجـاوز الله عن سيأته و مشايخه و آبائه أجمعين .

قد قرأت سنن أبي داؤد برواية اللؤلؤى على شيخى وسيدى مولانا محمد مظهر النانوتوى - رحمه الله تعالى - بعضها قراءة عليه و بعضها سماعاً منه حين كان نازلا فى اللكهنوتى ، ثم أجازنى به بجميع مروياته شيخى مولانا عبد القيوم بن مولانا عبـد الحى البڈهانوى ثم البوفالى ، ختن مولانا الشاه محمـــد إسحاق الدهلوى ، ثم المهاجر المكى ، ثم حصل لى الاجازة مكاتبة من شيخ العلمـاء بمكة المحمية السيد أحمد دحلان ثم قرأت أوائل الصحاح الستة على مولانا و شيخ مشائخنـا الشيخ عبد الغنى المجددى

الدهلوى المهاجر المدنى -رحمه الله عليه- وكتب لى الاجازة العامة سنة أربع وتسعين بعد ألف و مأتين ، ثم أجازنى مكاتبة و مشافهة حضرة مولانا السيد أحمد البرزنجى المدنى حين حضرت المدينـــة المنورة مرة أخرى سنة أربع و عشرين بعـــد ألف و ثلاث مأة .

وكثيراً ماكان يختلج فى صدرى أن يكون على سنن أبى داوٗد شرح يحل مغلقاته و يكشف معضلاته ، و يذلل صعابه ، و يسهل مشكلاته ، و لـكنى كنت أحقر نفسى أن أتحمل هذا الحمل الثقيل ، و أكـون فى هذا المضيق دخيلا ، حتى رأيت جزءاً واحداً من الشرح الذى ألفه الشيخ أبو الطيب شمس الحق المسمى بغاية المقصود فوجدته لـكشف مكنوزاته كافلا و بجميع مخزوناته حافلا ، فلله دره ، قد بذل فيه وسعه و سعى سعيه ، إلا أنه فى بعض المواضع أخذته الحدة ، فاستطال على مكانة إمام الأئمة أبى حنيفة النعمان ، عليه سجال الرحمة و الغفران ، و مع هذا فلم يشع منه إلا هذا الجزء الأول ، و الأجزاء الباقية كأنها سألت بها البطاح ، أو طارت بها أدراج الرياح .

ثم رأيت « عون المعبود » للشيخ محمد أشرف كان مختصر غاية المقصود، فلم يقع فى القلب موقعه ، و لم يبلغ مبلغه ، وهذا الشرح قاصر عن أن يسمى شرحاً مع أن مؤلفه تقلد صاحب غاية المقصود فى الحدة و اختصر شرحه فوقع فيـــه ما وقع من الخلل و الخطل و الله يتجاوز عنا و عنه ، فلما ذهب عنى الشباب و أخذنى الشيب كما قيل :

فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشش فى وكريه جاش له صدرى

و وليت درس الحديث بمدرسة مظاهر العلوم الواقعه فى سهارنفور ، ونظرت فى أمرى ، فلم أجد فى أعمالى ما يكون لى وسيلة إلى النجـاة أو ذريعة إلى حط الخطيئات و السيئات ، فألقى فى روعى أن اكتب على أبى داوٗد تعليقاً مختصراً جامعاً يفتح أقفال كنوزه و يسهل صعاب رموزه مع أنى لم أكن أهلا لذلك ، و لـكن

أعتمدت فى ذلك على إعانة الله تعالى سبحانه و عنايته و لطفه ، رجاء أن يحشرنى الله تعالى فى زمرة خدم الحديث و أهله ، فشرعت فيه فى ساعات فارغة من الدرس و أعانني عليه بعض أحبابى خصوصاً منهم عزيزى و قرة عيني و قلبى الحاج الحافظ المولوى محمد زكريا بن مولانا الحافظ المولوى محمد يحيي الكاندهلوى ـ رحمه الله تعالى ـ فانى كنت لا أقدر على الكتابة ، و لا على التتبع لرعشة حدثت فى يدى و ضعف فى دماغى و بصرى ، فكنت أملى عليه ، و هو يكتب و يتتبع المباحث المشكلة من مظانها فيسهل على إملاءها ، فشكر الله تعالى سعيه و أحسن جزاءه ، و ما بذل فيه جهده ، و أكرمه الله تعالى بعلومه الباطنة و الظاهرة النافعة ، فى الدنيا و الآخرة ، و بالأعمال المبرورة المتقبلة الزاهرة .

و كان عندى حين إملاء هذا التعليق كتب من العلوم المختلفة .

فمن علم الحديث و شروحه الصحاح الستة و الموطآن لمالك بن أنس ولمحمد بن الحسن الشيبانى و «سنن الدارمى» و «الدار قطنى» و «مصنف ابن أبي شيبة» و «السنن الكبرى» للبيهق و «المسند» للامام أحمد و «شرح معانى الآثار» للطحاوى و «مشكاة المصابيح» مع شرحه لعلى القارى» و «مسند أبى داوٗد الطيالسى» و «منتقى الأخبار مع شرحه نيل الأوطار» للشوكانى و «زاد المعاد فى هدى خير العباد» لابن القيم و «فتح البارى» و «القسطلانى» و «شرح مسلم» للنووى و «حاشية السندى على سنن النسائى» و «سنن ابن ماجة» و «شرح الموطا المسمى بالمصفى» و «المراسيل» لأبي داوٗد السجستانى ، و «عمل اليوم و الليلة» لابن السنى ، و «المسند للامام أبي حنيفة» و «المسند للشافعى» و «مجمع الزوائد» للهيثمى و «كتاب الآثار» للامام محمد بن الحسن الشيبانى ، و «جزء القراءة» للبخارى ، و «البيهق» و «الأدب المفرد» للبخارى ، و جزء «رفع اليدين» له ، و كتاب «المستدرك» للحاكم ، و تلخيصه للذهبى ، و قد وصلا إلينا عند تمام الجزء الأول من هذا الشرح ، و «سبل السلام على بلوغ المرام» للأمير اليمانى ، و شرح

العلامة العينى على البخـارى ، و « الدرجات لمرقاة الصعود » للدمنتى ، و هو المراد بمطلق الشرح فى هذا التعليق ، و « إنجاح الحاجة على ابن ماجة » لحضرة الأستـاذ الشيخ عبد الغنى ، و « آثار السنن » و تعليقـــه كلاهما لمولانا الشوق النيموى ، و « تنسيق النظام على مسند الامام » للشيخ محمد حسن السنبهلى ، و « الجوهر النقى » لابن التركمانى ، و « الزرقانى على المؤطأ » و « التعليق الممجد » لمولانا عبد الحى ، و « التلخيص الحبير على الرافعى الكبير » و « الدراية » كلاهما للحافظ ابن حجر ، و « شرح مشكلات الآثار » للطحاوى ، و « الشروح الأربعة » للترمذى ، وتقرير حضرة الشيخ الجنجوهى ـ نور الله مرقده ـ الذى كتبه مولانا محمد يحيى ـ المرحوم ـ عند قراءته السنن على حضرة الشيخ ، و « شرح الخطابى على أبى داوٗد » و « تخريج الزيلعى » و « حاشية الحصن » لمولانا عبـد الحى ، و الاكمال و المكمل على المسلم ، و كتب الموضوعات من اللآلى المصنوعة و ذيله و التعقبات و غيره .

و من التفـاسير : « التفسير لابن جرير » و « الدر المنثور » للسيوطى ، و « التفسير للقاضى البيضاوى » مع بعض حواشيه كالخفـــاجى و شيخزاده و القنوى و عبد الحكيم » و « تفسير الجلالين » مع بعض شروحه ، و « التفسير الكبير » للامام الرازى .

ومن أسماء الرجال : مصنفات إمام الفن ، الحافظ ابن حجر ـ نور الله مرقده ـ « من التقريب » و « تهذيب التهذيب » و « تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأربعة » و «كتاب الاصابة فى تمييز الصحابة » و « لسان الميزان » و « طبقات المدلسين » وأيضاً خلاصة « تهذيب الكمال » للخزرجى ، و « ميزان الاعتدال » و « تذكرة الحفاظ » و « التجريد » كلها للذهبى ، و « أسد الغـابة فى معرفة الصحابة » لابن الأثير ، و « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » لابن عبد البر ، و « كتاب المؤتلف و المختلف » للأزدى ، و « الطبقات الكبير » لابن سعد ، و « الجمع بين رجال الصحيحين » للمقدسى ، و « التاريخ الصغير » و « الضعفاء الصغير » كلاهما للبخارى ، و « الاكمال »

لصاحب المشكاة ، و « الأنساب » للسمعاني ، و « رجال جامع الأصول » لابن أثير ، و « كتاب الكنى » للدولابي ، و « المغنى » لصاحب المجمع و « الجواهر المضية فى طبقات الحنفية » و « طبقات الشافعية الكبرى » لأبى نضر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، و « قطعة من لباب الأنساب » و « إسعاف المبطأ برجال الموطا » للسيوطى ، و « الفوائد البهية فى طبقات الحنفية » لمولانا عبد الحى ، و « كتاب المنفردات و الوحدان » لمسلم، و « كتاب الضعفاء و المتروكين » للنسائى .

و من كتب أصول الحديث : « شرح النخبة » للحافظ ، و « شرح الشرح » للشيخ وجيه الدين ، و « تدريب الراوى » للسيوطى على تقريب النواوى، و « ألفية الحديث » للعراقى و شرحه « فتح المغيث » و « بستان المحدثين » .

و من كتب الفقه للاحناف : « بدائع الصنائع » و « المبسوط » للسرخسى، و « الهداية مع حواشيه من الكفاية و البناية » و « فتح القدير » و « الكبيرى » و « البحر الرائق » و « الدر المختار » بحاشيتيه الطحطاوى والشامى و «مراقى الفلاح» مع حاشيته للطحطاوى و «الزيلعى على الكنز» و «السعاية» لمولانا الشيخ عبد الحى .

و من كتب الفقه لغيرهم : « كتاب الأم » للشافعى ، و حاشية الاقناع على شرح الخطيب لمتن أبى الشجاع و « تحفة المحتاج فى شرح المنهاج » لابن حجر المكى ، و « روضة المحتاجين » للشيخ رضوان العدل ، و « كتاب الأنوار » للشيخ يوسف الأردبيلى، و « كتاب التوشيخ » للشيخ محمد نووى ، كلها فى فقه الشافعية ، و «كتاب المدونة » للامام مالك ، و ما على ذيله من كتاب المقدمات لأبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد، ومختصر الشيخ خليل «الثلاثة» فى مذهب المالكية و «أعلام الموقعين» فى فقه الحنابلة و « كشف الغمة عن جميع الأمة » و « الميزان الكبرى » للشعرانى .

و من كتب أصول الفقه : « نور الأنوار » و « التوضيح و التلويح » و « الحسامى » ببعض حواشيه و « التحرير » لابن الهمام و « المستصفى » للغزالى .

ومن غريب الحديث واللغة : « مجمع البحار » للشيخ محمد طاهر ، و « لسان

العرب » لأبي الفضل جمال الدين الأفريقي ، و « القاموس المحيط » للشيخ مجد الدين محمد الفيروز آبادى ، و « النهاية » لابن الأثير ، و « مصباح المنير » لأحمد بن محمد المقرىء ، و « المخصص » لابن سيدة .

و من كتب السير و التواريخ : « سيرة ابن هشام » و « تاريخ الطبرى » لابن جرير ، و « تاريخ الخلفاء للسيوطى ، و « معجم البلدان » لياقوت بن عبد الله الحموى ، و « تاريخ الخميس » للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الدياربكرى ، ووفيات الأعيان » لابن خلكان .

ومن علوم شتى : شرح مولانا عبد الرحمن الجامى على « الكافية » و «شافية» ابن الحاجب و شرحه للرضى ، و شرح ابن القاصح فى التجويد .

و كان بيدى من نسخ متعددة .

أولاها : نسخة مكتوبة عتيقة مصححة قوبلت ببعض النسخ و قرأت على بعض المشايخ ، و قرئت على مولانا الشيخ محمد إسحاق الدهلوى ثم المهاجر المكى . و هى مملوكة لمولانا خليل الرحمن ابن مولانا الشيخ الحاج الحافظ أحمد على المحدث السهارنفورى - رحمه الله تعالى - .

و ثانيتها : نسخة صاحب عون المعبود و المنقولة على نواصى صفحاتها .

و ثالثتها : النسخة التى صححها مولانا الشيخ الحاج محمود حسن الديوبندى صدر المدرسين فى المدرسة العالية الديوبندية ، و قابلها بالنسخ المختلفة ، وكان الاعتماد عليه عند اختلاف النسخ غالباً ، وهى التى طبعت فى المطبعة المجتبائة فى دهلى سنة ١٣١٨هـ .

و رابعتها : النسخة المطبوعة بمصر ، فى المطبعة الخيرية فى أوائل ذى الحجة سنة ١٣١٠هـ ، التى وضعت على هوامش الزرقانى شرح الموطا للامام مالك - رحمه الله تعالى - .

و خامستها : التى حليت بتحشية مولانا الشيخ فخر الحسن الجنجوهى التى طبع بعضها بأصح المطابع ، و بعضها فى المطبع النامى ، و هى المراد بالكانفورية ، فى

هذا التعليق .

و سادستها : النسخة المطبوعة بأصح المطابع ١٣١٨هـ ، لكنه قد وصل إلينا فى آخر الجزء الثانى ، و هى المراد باللكهنوية .

و كان الاعتماد غالباً فى شرح الحديث على كلام على القارىء فى « المرقاة » و الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » والعلامة بدر الدين العينى فى شرح البخارى ، و فى المسائل الفقهية على « البدائع الصنائع » و فى أحوال الرجال على « التقريب » و « التهذيب » و « الاصابة » و « الأنساب » للسمعانى ، و فى حل اللغات على « المجمع » و « القاموس » و « لسان العرب » .

و لم آخذ من كلام الشارحين المذكورين صاحب « غاية المقصود » و « عون المعبود » و لا ما نقلاه عن أحد من المتقدمين مقلداً لمجرد قولهما بدون أن أجده فى كلام المتقدمين .

و قد اهتم فى هذا الشرح بأمور قلما يوجد فى غيرها ، منها أن جل مباحثها منقول من كلام أكابر القدماء مما يتعلق بتوضيح الحديث وغيره ، و لهذا فى أكثر مواضعها عزوته إلى قائله : و فى بعضها ما نسبته إليه ، وأما ما يتعلق بحل أقوال أبى داؤد فخاطرى مقتضبه غالباً لأنه لا يوجد من كتب المتقدمين ما يحل صعب أقواله ، و منها أنى ذكرت ترجمة كل راو من السند فى أول موضع ذكره فى السند ، ثم إذا وقع ذكره فى محل بعده لم أذكره ، و منها أنى كثيراً ما أذكر مذهب السادة الحنفية تحت حديث يتعلق بمسألة فقهية ، فان كان الحديث موافقاً لهم فبها ، و إلا فذكرت مستدلهم و الجواب عن الحديث و توجيهه ، و منها أن أذكر مناسبة الحديث بترجمة الباب فى موضع خفى ذلك ، و منها أنى فى بعض المواضع أنبه على ما وقع فيه التسامح من شارحى أبى داؤد لئلا يقع الطالب فى الغلط اعتماداً عليه مع أنى ما أبرىء نفسى عن الخطأ و السهو ، و لا أقول هذا إعجاباً وفخراً بل الغرض منه إظهار الحق و الصواب و الله ولى التوفيق و بيده أزمة التحقيق ، و منها إعادة

بعض المطالب المهمة لمصلحة اقتضت ذلك ، و منها ما أورده المصنف من الروايات مختصراً و أخرجها غيره مطولا فذكرتها مطولة من مظانها ، و منها تفصيل مذاهب المجتهدين سيما الأربعة -شكر الله سعيهم- وأكثرها نقلتها عما ذكره العلامة الشوكانى ، و منها ما ذكره المصنف مرسلا أو معلقاً ذكرته موصولا ، و هو حسبى و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم اعلم أن للسنن أبى داؤد روايات عديدة ، و المشهور منها ثلاث روايات رواية ابن داسة أبى بكر محمد بن عبد الرزاق ، و روايته مشهورة فى المغرب ، و رواية ابن الأعرابى أبى سعيد أحمد بن محمد بن زياد ، و هى أنقص الثلاثة حتى قيل ليس فيه كتاب الفتن و الملاحم و الحروف و غيرها ، و رواية اللؤلؤى محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤى ، و هو آخر من حدث عنه ، و لذا يقال لها : أصح الروايات و هى المتداولة فى بلاد المشرق و بلاد الهند .

و مما ينبغى أن يعلم أن المصنف هو أبو داؤد سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدى السجستانى ، كما فى الخلاصة و وفيات الأعيان : الامام الثبت سيد الحفاظ كان فى أعلى درجة من الورع والعلم و النسك ، ولد سنة اثنتين و مأتين ، و توفى فى سادس عشر شوال سنة خمس و سبعين و مأتين يوم الجمعة رضى الله تعالى عنه و أرضاه .

قال إبراهيم : ألين لأبى داؤد الحديث ، كما ألين لداؤد عليه السلام الحديد ، قيل لما صنف السنن وقرأه على الناس صار كتابه كالمصحف يتبعونه وأقر له أهل زمانه ، و قال ابن مندة الذين : أخرجوا الثابت من المعلول و الخطأ من الصواب أربعة ، البخارى و مسلم وأبو داؤد و النسائى ، و قال الحاكم : إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة ، قال الذهبى فى التذكرة : بلغنا عن بعض الأئمة أن أبا داؤد يشبه أحمد بن حنبل فى هديه و سمته و دله ، وكان أحمد يشبه فى ذلك بوكيع و وكيع بسفيان و سفيان بمنصور و منصور بابراهيم و إبراهيم بعلقمة ، و هو بابن مسعود ، قال

علقمة : و كان ابن مسعود يشبه النبي ﷺ فى هديه ودله ، انتهى ، اختلف فى مذهبه فقيل حنبلى : و قيل شافعى : و اختلف العلماء فى سجستان التى نسب إليها ، فقيل هو الاقليم المشهور ، و قيل : قرية من قرى البصرة ، و قال مولانا الشاه عبد العزيز ـ نور الله مرقده ـ « ابن خلكان را باوجود كمال تاريخ دانى درين نسب غلط افتاده گفته است ، كه نسبت إلى سجستان ، أو سجستانه : قرية من قرى البصرة ، والشيخ تاج الدين سبكى بعد از نقل اين عبارت گفته است كه « هذا وهم والصواب أنه نسبة إلى الاقليم المعروف المتأخم لبلاد الهند » يعنى اين نسبة بسيستان است كه ملكى است مشهور ، فيما بين سنده و الهراة متصل قندهار و چشت » ومذهبه فى كتابه مذكور فى رسالته إلى أهل مكة نقله الدمنتى فى الدرجات تركناه اختصاراً من شاء فليرجع إليه .

نعم لابد أن أذكر لك نوعية الكتاب وهى كونه سننا فان كتب الحديث متنوعة على أقسام . منها الجوامع وهو ما يوجد فيه جميع أقسام الحديث من العقائد والأحكام و الرقاق و الآداب و التفسير و التاريخ و المناقب و الفتن ، وقد صنف العلماء فى كل فن من هذه الفنون تصانيف مفردة ، و أحاديث الأحكام من كتاب الطهارة إلى كتاب الوصايا تسمى بالسنن كسنن أبي داؤد وغيره ، و الكتب المصنفة فيها غير محصور ، و منها المسانيد و هو ما ذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة ، و منها المعاجم و هو ما يذكر فيه الأحاديث على ترتيب المشايخ ، و منها الأجزاء و هو ما يجمع فيه مرويات الرجل الواحد سواء كان من الصحابة ، و من المشايخ كجزء حديث أبي بكر ، و كذا ما يجمع فيه روايات المسألة الجزئية كجزء رفع اليدين ، و منها الأربعينات و هو ما يجمع فيه أربعون حديثاً ، و منها العلل و هو أن يجمع فى كل حديث أو باب طرقه واختلاف رواته ، فان معرفة العلل أجل أنواع الحديث ، و منها الأطراف و هو أن يذكر طرف الحديث الدال على بقيته و يجمع أسانيده مستوعباً أو مقيداً بكتب مخصوصة .